الخطر الوهابي

ثلاث رسائل ضد الوهابية

صالح الورداني

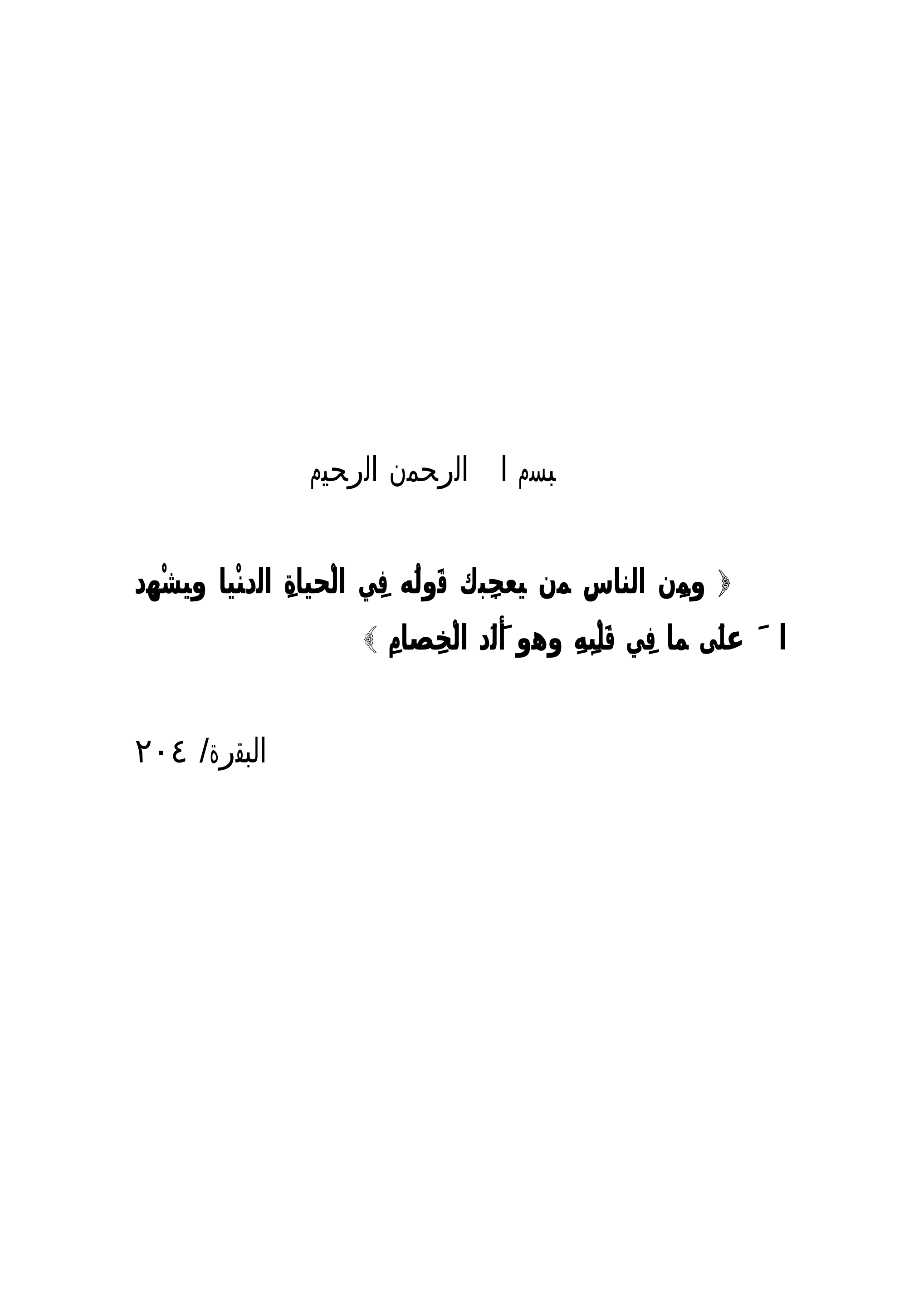
الخطر الوهابي

ثلاث رسائل ضد الوهابية

إعداد وتعليق

صالح الورداني

فهرس



بسم ا الرحمن الرحيم

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾

البقرة/ ٢٠٤

تقديم

لو لم يظهر الإنجليز في المشرق العربي..

ولو لم يظهر النفط في جزيرة العرب..

لكانت الدعوة الوهابية في ذمة التاريخ.

وما كان لها ذكر ولا وجود..

فهي دعوة تفتقد إلى مقومات الاستمرار والبقاء لكونهـا ببساطة تتصادم مع الفطرة والواقع..

لقد استثمر الإنجليز الحركة الوهابية في ضرب الدولـة العثمانية وتحقيق أطماعهم في المشرق العربي..

إلا أن الإنجليز وحدهم لم يكونوا ليحققوا للدعوة الوهابية الشيوع والانتشار والعالمية إنما تحقق ذلـك كلـه ببركـات النفط.

النفط هو الذي مكن لدعوتهم في الأرض..

وهو الذي بواسطته اخترقوا المؤسسات في كل مكان..

وهو الذي جذب ببريقه الرموز الإسلامية العاملـة فـي الحقل الإسلامي..

وهو الذي فرخ لنا تلك الجماعات الوهابيـة المتطرفـة التي شوهت صورة الإسلام وهددت أمن المسلمين ورفعـت لواء التكفير في مواجهتهم..

وفرخ لنا أيضا جيل من فقهاء النفط أثاروا الفتن والبلبلة وسط المسلمين وأسهموا في خلق أنماط من السلوك المعـوج والتفكير المتخلف في واقع المسلمين..

والحديث عن الدعوة الوهابية يعني الحديث عن الإفراط في استخدام الروايات والاعتماد على أقوال الرجال.

وتلك هي أزمة المسلمين اليوم التي أسهمت في دعمهـا الحركة الوهابية وفقهاء النفط..

لقد قامت الدعوة الوهابية على أساس آراء محمـد بـن عبد الوهاب التي هي في الحقيقة امتـداد لآراء ابـن تيميـة الشاذة التي امتحن بسببها وكفر من فقهاء عصـره وحـبس حتى مات في الحبس..[1]

---

[1]) انظر الدرر الكامنة في أعيان الثامنة لابن حجر العسقلاني جـ/ ١..

وقامت أيضا على أساس مجموعة من الروايات المنسوبة للرسول (ص) التي هي محل خلاف بين الفقهاء في مرادها وأهدافها.. [٢]

وما برز التطرف والاعوجاج الفكري في تاريخ المسلمين إلا على أساس الروايات وأقوال الرجال..

والمتتبع للفكر الوهابي يتبين له مدى اعتماد هذا الفكر على الروايات وأقوال الرجال. كما أن المتتبع للحركة الوهابية يتبين له أن المجازر وعمليات القتل والغزو والسلب والنهب الذي ارتبط بهذه الحركة إنما استمد شرعيته ومبرراته من هذه الروايات والأقوال.

ولقد كان الموقف الإسلامي شديد العداء للدعوة الوهابية زمن ظهورها، إلا أن هذا الموقف قد أخذ في التراجع تحت تأثير النفط الذي نصب محمد بن عبد الوهاب إماما للمسلمين بعد أن كان ينعت بالزنديق المارق على ألسنة الفقهاء من رجال الأزهر وغيرهم أيام العثمانيين..

ولم يبق في مواجهة الوهابيين اليوم سوى الشيعة والصوفية.

---

[2]) سوف يرى القارئ نماذج من هذه الروايات ضمن رسائل الكتاب.

لم يبق سوى هذين التيارين بعد أن اجتاح المد النفطي التيارات الإسلامية الأخرى ودفع بها إلى أحضان الوهابية.

من هنا يمكن القول أن معظم الردود التي كتبت في مواجهة الوهابية لا تخرج عن حدود هذين التيارين.

وهي ردود أكثر من أن تحصى..

وسوف يرى القارئ نماذج من هذه الردود من رسائل هذا الكتاب..

إن الدعوة الوهابية لم تكن لتحتاج في مواجهتها مجرد ردود فقط بل كانت تحتاج إلى مواجهة حركية حاسمة من المسلمين لقطع دابرها والقضاء على فتنتها..

إلا أن السياسة والمصالح حالت دون حجب هذا الخطر عن الإسلام والمسلمين خدمة للحكام والقوى الأجنبية المعادية للإسلام والمسلمين..

إن مكمن خطورة الوهابية يتركز في كونها دعوة قامت ضد الإسلام والمسلمين وبدعم أعداء الإسلام..

وفي كونها دعوة ضد العقل..

وفي كونها دعوة فرقة وتمزق.

وفي كونها دعوة تعصب وتطرف.

وفي كونها دعوة متخلفة تعيش بعقل الماضي..

وذلك كله هو ما ورثه فقهاء النفط والجماعات المعاصرة عن الدعوة الوهابية السعودية.

وهو ما يظهر من مواقف وممارسات هذه الجماعات..

وما يظهر من فتاوى هؤلاء الفقهاء..

وليس هناك من سبيل لمواجهة الخطر الوهابي سوى التسلح بكتاب ا سبحانه، والالتزام بالوعي والعقل..

ليس هناك من سبيل سوى تبني رؤية واعية تجاه الروايات وأقوال الرجال، تلك الروايات والأقوال التي فتحت الباب ولازالت تفتحه أمام دعوات الضلالة والحجر والاعوجاج الفكري التي نتج عنها تشويه الإسلام واستباحة دماء وأموال وأعراض المسلمين وتمزيق الأمة.

وهو ما حدث على أيدي الوهابيين ولازال يحدث على أيدي من حملوا الراية بعدهم من الجماعات الوهابية المعاصرة في أفغانستان واليمن وباكستان ومصر والجزيرة العربية وغيرها من بقاع العالم الإسلامي..

ومن أخطر نتائج الدعوة الوهابية على الإسلام والمسلمين إيصال آل سعود إلى دفة الحكم وسيطرتهم على

جزيرة العرب وتحكمهم في رقاب المسلمين هناك وفـرض وصايتهم على الحرمين الشريفين وإفراغ فرضية الحج مـن مضمونها، بالإضافة إلى نهبهم ثروات الجزيرة التي هي من نعم ا على عباده داخل الجزيرة وخارجها وتحويلهم أرض الرسول (ص) إلى مملكة سموها باسمهم.

ومحمد بن عبد الوهاب قد خـالف الشـرع واصـطدم بنصوصه حين تحالف مع محمد بن سعود عام ١١٥٨ هـ. وكان نص الاتفاق هو:

الدم.. الدم.

الهدم.. الهدم.

فهو قد شبه نفسه بالرسول (ص) حين بايعه الأنصـار. وأعطى الشرعية لابن سعود ليشهر سيفه في وجه المسلمين ويغنم أموالهم ويقيم ملكه على جثثهم..

وهو قد فتح الباب أمام آل سعود ليكونوا خلفاء المسلمين وهم من خارج دائرة قـريش.. ممـا يخـالف النصـوص

الصريحة التي أجمع الفقهاء على صحتها والتـي لا تجيـز إمارة وحكم المسلمين لغير القرشي.. [٣]

ويظهر أن آل سعود تداركوا الأمر فقرروا تحويل الخلافة إلى ملكية حتى لا يقعوا في حرج شرعي وسموا مملكتهم باسم ليس في كلمة إسلام حتى تنتفي الشبهات من حولهم وتنقطع أية محاولة للربط بينهم وبين نظام الخلافة..

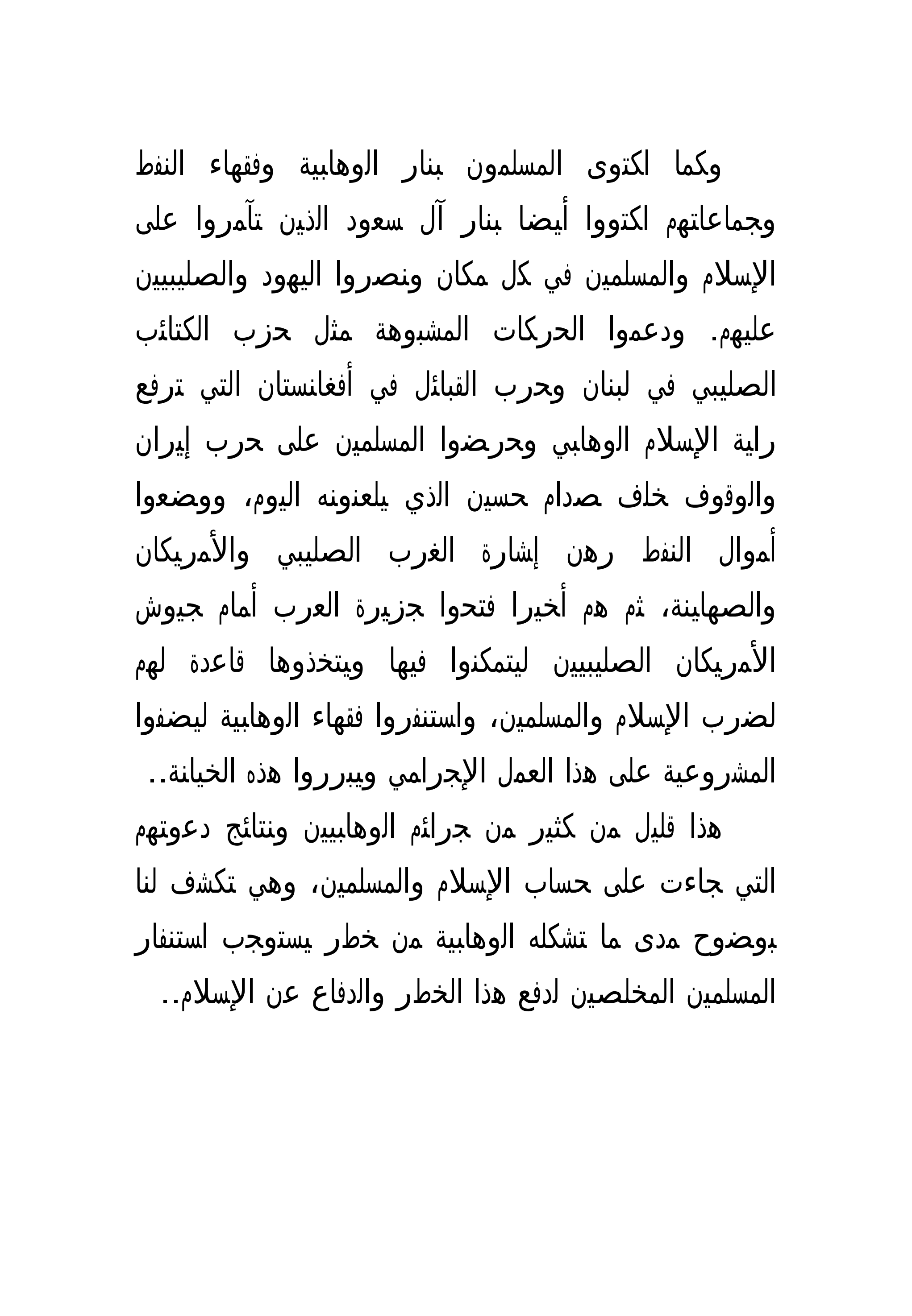
---

[3] تروي كتب السنن قول الرسول (ص): الأئمة من قريش، وفي رواية أخرى: لا يزال هذا الأمر – الخلافة – في قريش ما بقى مـن النـاس اثنان.

وفي رواية : الناس تبع لقريش.

انظر البخاري كتاب الأحكام. ومسلم كتاب الإمارة ومسند أحمد. وهذه المسألة محل إجماع الفقهاء لم يخالف فيها أحد، وقد نصت عليها كتـب العقائد. فعلى أي أساس شرعي استند محمد بن عبد الوهاب في تحالفه مع ابن سعود على ولاية أمر المسلمين في الوقت الذي كان يوجد فيـه خليفة للمسلمين وهو السلطان العثماني. وفي الوقت الذي يوجـد فيـه رواية تقول: إذا بويع خليفتان فاقتلوا الآخر منهما. رواه مسلم

إلا أن ما يجب التنبيه عليه هنا هو أن حصر الخلافة في دائرة قريش، كما أشارت الروايات أمر لا يستقيم شـرعا وعقـلاً والأرجـح أنهـا حصرت في دائرة آل البيت لكن السياسة حرفت هذه الروايات..



وكما اكتوى المسلمون بنار الوهابية وفقهاء النفط وجماعاتهم اكتووا أيضا بنار آل سعود الذين تآمروا على الإسلام والمسلمين في كل مكان ونصروا اليهود والصليبيين عليهم. ودعموا الحركات المشبوهة مثل حزب الكتائب الصليبي في لبنان وحرب القبائل في أفغانستان التي ترفع راية الإسلام الوهابي وحرضوا المسلمين على حرب إيران والوقوف خلف صدام حسين الذي يلعنونه اليوم، ووضعوا أموال النفط رهن إشارة الغرب الصليبي والأمريكان والصهاينة، ثم هم أخيرا فتحوا جزيرة العرب أمام جيوش الأمريكان الصليبيين ليتمكنوا فيها ويتخذوها قاعدة لهم لضرب الإسلام والمسلمين، واستنفروا فقهاء الوهابية ليضفوا المشروعية على هذا العمل الإجرامي ويبرروا هذه الخيانة..

هذا قليل من كثير من جرائم الوهابيين ونتائج دعوتهم التي جاءت على حساب الإسلام والمسلمين، وهي تكشف لنا بوضوح مدى ما تشكله الوهابية من خطر يستوجب استنفار المسلمين المخلصين لدفع هذا الخطر والدفاع عن الإسلام..

وهذه الرسائل التي بين أيدينا لثلاثة فقهاء انتفضوا في مواجهة الوهابية وتصدوا لبدعها وضلالاتها كاشفين خطورتها وانحرافها عن الإسلام.

وهي رسائل لم يتيسر نشرها من قبل، أو بصورة أخرى حال المد النفطي دون نشرها وإيصالها للمسلمين.

الرسالة الأولى: للشيخ أحمد بن الزيني دحلان المكي الشافعي مفتي مكة المتوفى عام ١٣٠٤ هـ الذي عاصر الحركة الوهابية وتصدى لها وصنف الكثير من المصنفات لتعريتها ودرء خطرها عن الإسلام والمسلمين..

وفي كتابه (خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام) كشف الكثير من الحقائق وألقى الضوء على كثير من الحوادث الإجرامية التي تؤكد براءة الإسلام من الوهابيين..

الرسالة الثانية: للشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢: ١٣٥٢ هـ) من فقهاء الشيعة الإمامية، له الكثير من المصنفات منها:

الهدى إلى دين المصطفى في الرد على النصارى..

التوحيد والتثليث..

آلاء الرحمن في تفسير القرآن...

والرسالة الثالثة: للشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (١٢٩٤: ١٣٧٣ هـ) من فقهاء الشيعة أيضا له الكثير من المصنفات والمقالات والقصائد البديعة منها:

أصل الشيعة وأصولها.

الآيات البينات في قمع البدع والضلالات.

مناسك الحج.

التوضيح في بيان حال الإنجيل والمسيح..

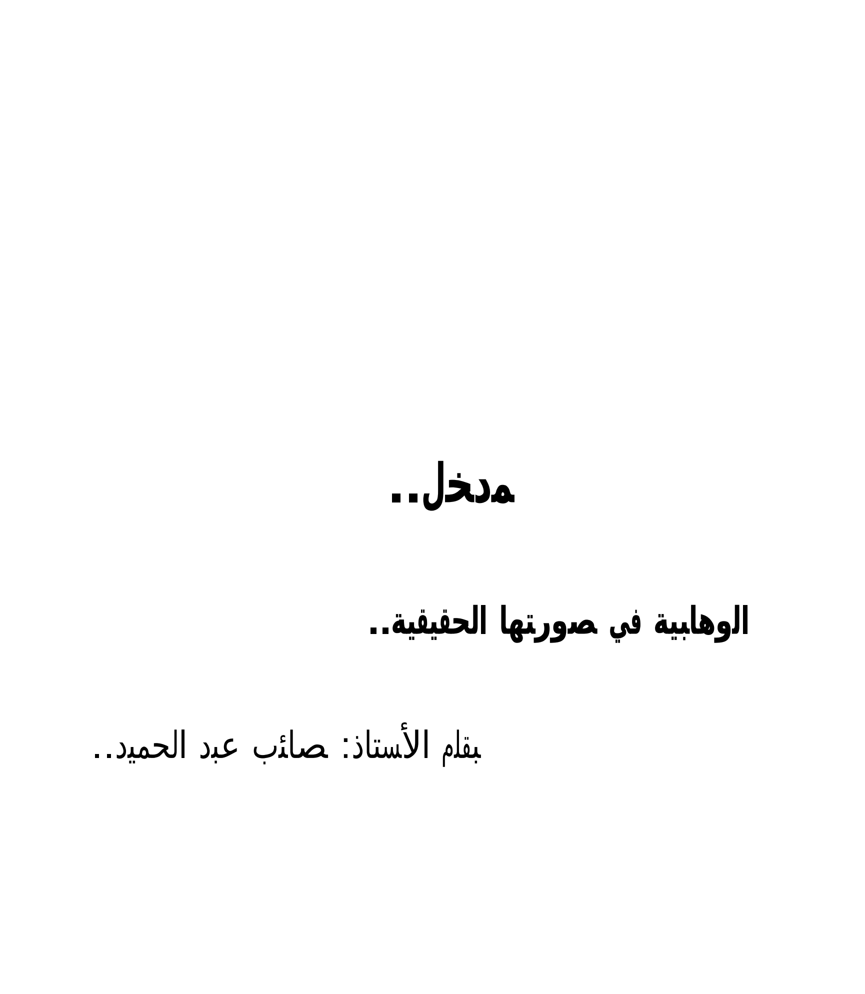
الدين والإسلام.

وغيرها كثير..

ونبشر القارئ الكريم أنه في الطريق إلى النشر رسائل أخرى سوف تخرج إلى النور رغم أنف فقهاء النفط بإذن ا تعالى..

صالح الورداني

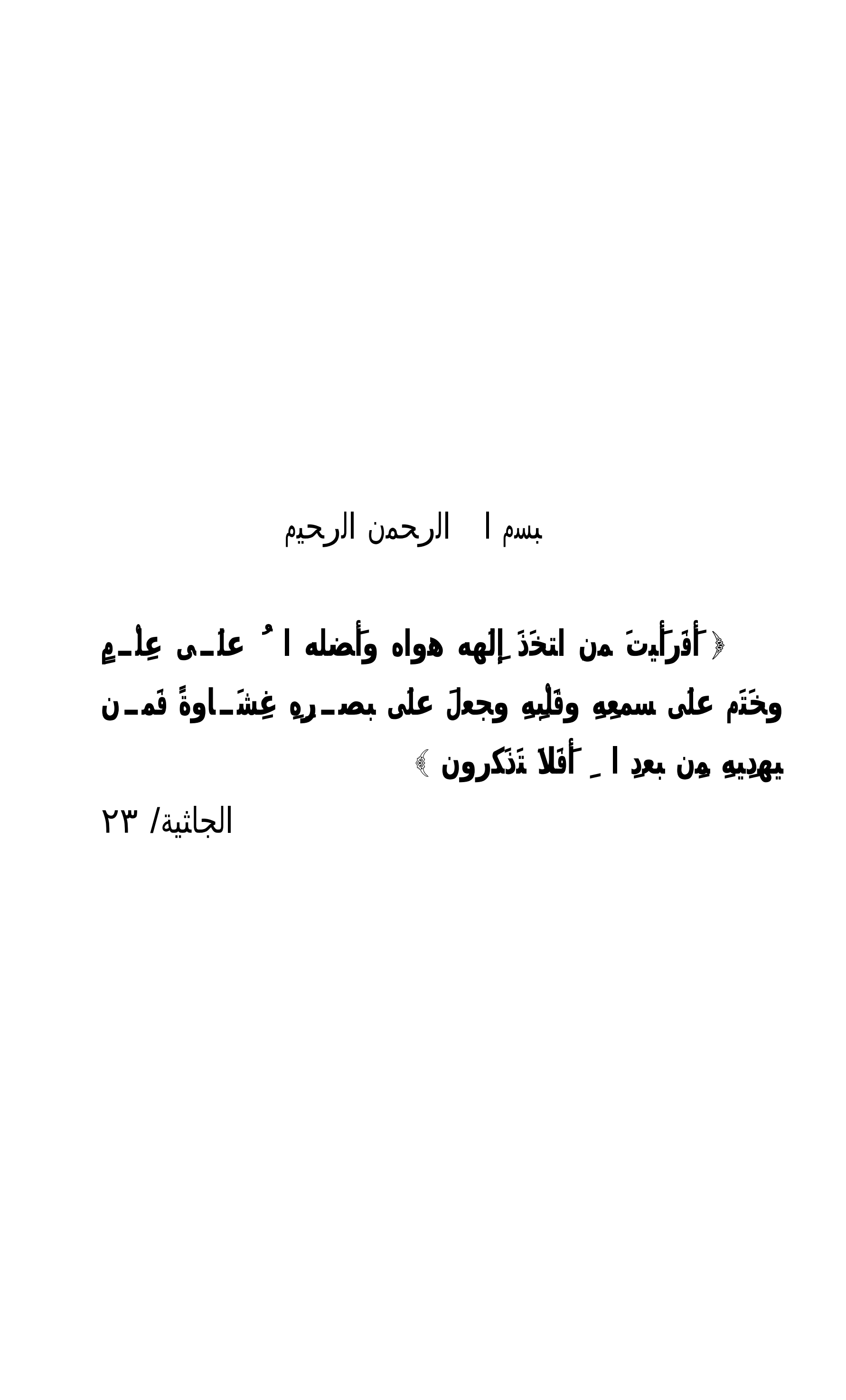
القاهرة



مدخل..

الوهابية في صورتها الحقيقية..

بقلم الأستاذ: صائب عبد الحميد..



بسم ا   الرحمن الرحيم

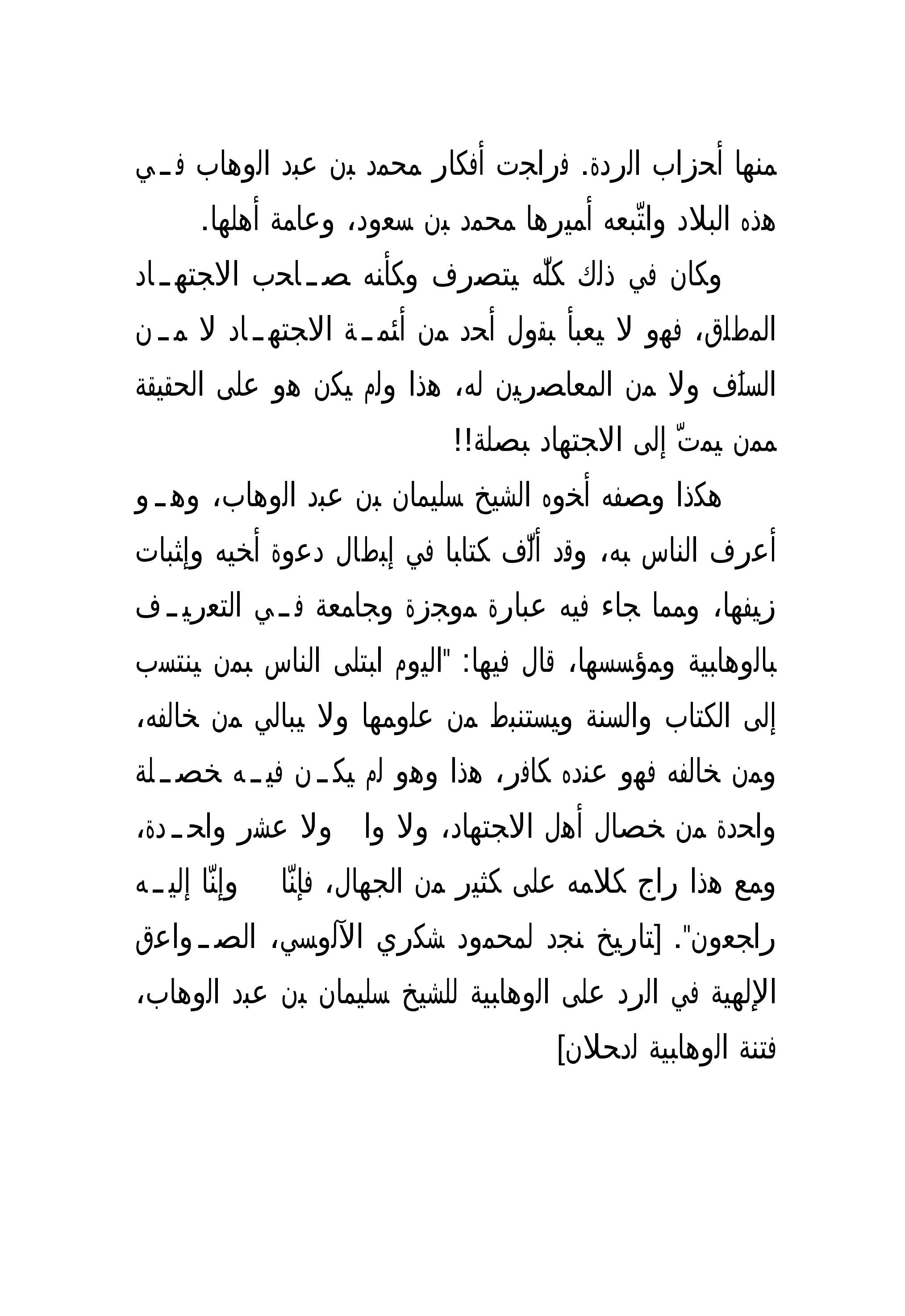
﴿ أَفَرَأَيتَ من اتخذَ إلهه هواه وأضله ا على عِلْمٍ وختَم على سمعِهِ وقَلْبِهِ وجعلَ على بصرِهِ غِشَاوةً فَمن يهدِيهِ مِن بعدِ ا أَفَلاَ تَذَكرون ﴾

الجاثية/ ٢٣

تُنسب الفرقة الوهابية إلى محمد بن عبد الوهاب بن سليمان النجدي، المولود سنة ١١١١ هـ والمتوفى سنة ١٢٠٦ هـ.

وكان هذا قد أخذ شيئًا من العلوم الدينية، كما كان مولعا بمطالعة أخبار مدعي النبوة كمسيلمة الكذاب وسجاح والأسود العنسي وطُليحة الأسدي، فظهر منه أيام دراسته زيغ وانحراف كبير، مما دعا والده وسائر مشايخه إلى تحذير الناس منه، فقالوا فيه: سيضلّ هذا، ويضلّ ا به من أبعده وأشقاه!

وفي سنة ١١٤٣ هـ أظهر محمد بن عبد الوهاب الدعوة إلى مذهبه الجديد، ولكن وقف والده ومشايخه في وجهه، فأبطلوا أقواله، فلم تلق رواجا حتى توفّي والده سنة ١١٥٣ هـ فجدد دعوته بين البسطاء والعوام فتابعه حثالة من الناس، فثَار عليه أهل بلده وهموا بقتله، ففر إلى (العيينة) وهناك تقرب إلى أمير العيينة وتزوج أخت الأمير، ومكث عنده يدعو إلى نفسه وإلى بدعته، فضاق أهل العيينة منه ذرعا فطردوه من بلادتهم، فخرج إلى (الدرعية) شرقي نجد، وهذه البلاد كانت من قبل بلاد مسيلمة الكذّاب التي انطلقت


منها أحزاب الردة. فراجت أفكار محمد بن عبد الوهاب في هذه البلاد واتّبعه أميرها محمد بن سعود، وعامة أهلها.

وكان في ذلك كلّه يتصرف وكأنه صاحب الاجتهاد المطلق، فهو لا يعبأ بقول أحد من أئمة الاجتهاد لا من السلف ولا من المعاصرين له، هذا ولم يكن هو على الحقيقة ممن يمتّ إلى الاجتهاد بصلة!!

هكذا وصفه أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، وهو أعرف الناس به، وقد ألّف كتابا في إبطال دعوة أخيه وإثبات زيفها، ومما جاء فيه عبارة موجزة وجامعة في التعريف بالوهابية ومؤسسها، قال فيها: "اليوم ابتلى الناس بمن ينتسب إلى الكتاب والسنة ويستنبط من علومها ولا يبالي من خالفه، ومن خالفه فهو عنده كافر، هذا وهو لم يكن فيه خصلة واحدة من خصال أهل الاجتهاد، ولا وا ولا عشر واحدة، ومع هذا راج كلامه على كثير من الجهال، فإنّا وإنّا إليه راجعون". [تاريخ نجد لمحمود شكري الآلوسي، الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية للشيخ سليمان بن عبد الوهاب، فتنة الوهابية لدحلان]

- أصول الفكر الوهابي

للفرقة الوهابية أصل معلن وأصل خفي:

- أما الأصل المعلن فهو: إخلاص التوحيد ، ومحاربة الشرك والأوثان. ولكن ليس لهذا الأصل ما يصدقه من واقع الحركة الوهابية كما سترى.

- وأما الأصل الخفي فهو: تمزيق المسلمين وإثارة الفتن والحروب فيما بينهم خدمة للمستعمر الغربي.

وهذا هو المحور الذي دارت حوله جهود الوهابية منذ نشأتها وحتى اليوم، فهو الأصل الحقيقي الذي سخر له الأصل المعلن من أجل إغواء البسطاء وعوام الناس.

فلاشك أن شعار (إخلاص التوحيد ومحاربة الشرك) شعار جذّاب سيندفع تحته أتباعهم بكل حماس، وهم لا يشعرون أنه ذريعة لتحقيق الأصل الخفي.

ولقد أثبت المحققون في تاريخ الوهابية أن هذه الدعوة قد أُنشئت في الأصل بأمر مباشر من وزارة المستعمرات البريطانية.

أُنظر مثلا: (أعمدة الاستعمار) لخيري حماد، و (تاريخ نجد) لسنت جون فيلبى أو عبد ا ليلبي، و (مذكرات حاييم

وايزمن) أول رئيس وزراء للكيان الصهيوني، و(مذكرات مستر همايون همتى).

وقد قسمت الوهابية العقائد إلى قسمين:

الأول: ما ورد فيه نص في الكتاب أو السنُة.. فزعموا أن هذا يأخذونه من الكتاب والسنة مباشرة، دون الرجوع إلى اجتهاد المجتهدين في معناه، سواء كانوا من الصحابة أو التابعين أو غيرهم من أئمة الاجتهاد.

والقسم الثاني: ما لم يرد فيه نص. وزعموا أنّهم يرجعون فيه إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل وابن تيمية.

لكنّهم أخفقوا في الأمرين معا، ووقعوا في التناقض وارتكبوا المحذور، فمن ذلك:

- إنّهم جمدوا على معان فهموها من ظواهر بعض النصوص، فخالفوا الأصول والإجماع. ومن هنا وصفهم الشيخ محمد عبده بأنهم: "أضيق عطنًا وأحرج صدرا من المقلّدين، فهم يرون وجوب الأخذ بما يفهم من اللفظ الوارد والتقّيد به بدون التفات إلى ما تقتضيه الأصول التي قام عليها الدين". [الإسلام والنصرانية لمحمد عبده، وهامشه لرشيد رضا: ص ٩٧ الطبعة الثامنة].

ب- خالفوا الإمام أحمد صراحةً في تكفيرهم من خالفهم من المسلمين، في حين لم يجدوا في فتاوى الإمام أحمد ما يشهد لعقيدتهم هذه، بل على العكس، كانت سيرته وفتاواه كلّها بخلاف ذلك، فهو لا يكفّر أحدا من أهل القبلة بذنب كبيرا كان أو صغيرا، إلا بترك الصلاة. [العقيدة لأحمد بن حنبل: ١٢٠]

وأيضا: لم يجدوا عند ابن تيمية ما يشهد لعقيدتهم هذه، بل الذي ورد عن ابن تيمية هو العكس من ذلك تماما..

قال ابن تيمية: إن من والى موافقيه وعادى مخالفيه، وفرق جماعة المسلمين، وكفّر وفسقّ مخالفيه في مسائل الآراء والاجتهادات، واستحلّ قتالهم، فهو من أهل التفرق والاختلاف.

[مجموعة فتاوى ابن تيمية ٣: ٣٤٩]

فالوهابية إذن وفقًا لعقيدة ابن تيمية هم من أهل التفرق والاختلاف!!

ج- إن عقيدة الوهابية في زيارة المشاهد تقضي بأن الإمام أحمد نفسه ومن وافقه من السلف هم من المشركين الذين تجب البراءة منهم ويجب هدر دمائهم وأموالهم..

فقد نقل ابن تيمية أن الإمام أحمد قد كتب جزءا في زيارة مشهد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، وما ينبغي أن يفعله الزائر هناك.

وقال ابن تيمية: إن الناس في زمن الإمام أحمد كانوا ينتابونه، أي يقصدون زيارته. [رأس الحسين لابن تيمية – المطبوع من استشهاد الحسين للطبري: ٢٠٩]

أما في عقيدة الوهابية فإن شد الرحال إلى المشاهد وقصد زيارتها من الشرك الذي تُهدر معه الدماء والأموال..

وبهذا فقد حكموا بالشرك وهدر الدماء والأموال على الإمام أحمد ومن عاصره ومن كان قبلهم من السلف الذين كانوا يفعلون ذلك ويستحبونه. بل لازم قولهم: إن الأمة منذ ذلك العصر كلّهم مشركون وكفّار!! وهذا يتعدى حتى الصحابة أيضا.

فبأي شيء إذن ينسبون أنفسهم إلى الإمام أحمد وإلى السلف؟

د- مثل ذلك يقال أيضا عن عقيدتهم بالاستشفاع بالنبي (ص)، فعندهم أن من طلب الشفاعة من النبي (ص) بعد موته فقد أشرك الشرك الأكبر، وقد جعل النبي عندئذ وثنًا

يعبده من دون ا ، وعلى هذا أوجبوا هدر دمه وماله. [تطهير الاعتقاد للصنعاني: ٧]

بينما ثبت في الصحيح أن كثيرا من أجلاء الصحابة والتابعين كانوا يفعلون ذلك ويستجاب لهم عاجلاً، وقد صحح ذلك ابن تيمية أيضا في كتابه (الزيارة ١٠١ – ١٠٦) من طرق عديدة نقلها بطولها من البيهقي والطبراني وابن أبي الدنيا وأحمد بن حنبل وابن السنّي، رغم أنّه أصر على خلافها إصرارا على الرأي رغم اعترافه بوجود البرهان على خلافه.

ألا أن ابن تيمية لا يرى ذلك من الشرك الأكبر كما فعلت الوهابية. فيكون أولئك الصحابة والتابعون – وفقًا لعقيدة الوهابية – من المشركين الذي يجب قتلهم!!

وليس هؤلاء وحدهم مشركين في عقيدة الوهابية، بل الآخرون ممن كان يبلغه فعلهم هذا في استشفاعهم بالنبي (ص) ولا ينكر عليهم ولا يكفّرهم، هؤلاء أيضا محكوم عليهم بهدر الدماء والأموال..

فمن أبقوا يا تُرى من هذه الأُمة على الإسلام؟!

ومن هو إذن سلفهم الذي يقتدون به؟!

وثبت في ما تقدم أن عقيدة الوهابية تقضي على جلّ الصحابة بالكفر والشرك، هذا حكمهم على جلّ الصحابة الذين عاشوا بعد النبي (ص) وأجازوا الاستشفاع به، أو أجازوا السفر لزيارة قبره الشريف، أو رأوا من يجيز ذلك أو سمعوا به فلم يحكموا عليه بالكفر والشرك ولا هدروا دمه ولا استباحوا أمواله!!

هذا هو لازم عقيدتهم، وهذا هو حكمهم بالفعل. أما حين يروغون عنه بالقول في ما يزعمونه من تعظيم الصحابة، فإنّما يريدون منه إغواء البسطاء وتضليل الناس، كما يخشون أيضا عواقب تصريحهم بذلك.

و- ولم تقف الوهابية عند هذا الحد، بل تناولوا الصحابة الذين كانوا حول الرسول (ص) في حياته أيضا، فقال محمد بن عبد الوهاب مؤسس الوهابية ما نصه: إن جماعة من الصحابة كانوا يجاهدون ويصلّون معه ويزكّون ويصومون ويحجون، ومع ذلك فقد كانوا كفّارا بعيدين عن الإسلام!! [الرسائل العملية التسع لمحمد بن عبد الوهاب – رسالة كشف الشبهات: ١٢٠ طبعة سنة ١٩٥٧م]

ومما يؤكّد عقيدتهم هذه في الصحابة مبالغة كتّابهم وعلمائهم في الدفاع عن يزيد بن معاوية والثناء عليه، في حين لم يعرف التاريخ عدوا للصحابة كيزيد، ولا عرف التاريخ أحدا أباح دماء الصحابة وأعراضهم كما فعل يزيد في وقعة الحرة بالمدينة المنورة حيث أباحها لجنده ثلاثة أيام يقتلون رجالها وكلّهم من الصحابة وأبناء الصحابة، ويهتكون الأعراض وهي أعراض الصحابة، فافتضوا العذارى من بنات الصحابة حتى أنجبت منهن نحو ألف عذراء لا يدرى من أولادهن!!

وقبل ذلك كان فعله في كربلاء في قتل ثمانية عشر رجلاً من أهل بيت الرسول صلى (ص) فيهم سبطه وريحانته الحسين، وأولاده وأولاد أخيه الحسن، ومن معه من إخوته وأبنائهم وحتّى الرضع منهم.

وبعد ذلك فعله في مكّة المكّرمة وإحراق الكعبة...

ذلك هو يزيد الذي يثنون عليه..

ومن يدري لعلّهم يثنون عليه لأجل أعماله تلك وفعله ذلك في الصحابة ونسائهم وذرياتهم؟!

وأغرب من ذلك أن يزيد كان لا يقيم الصلاة، وكان يشرب الخمرة.. فهم بحكم انتسابهم إلى فقه الإمام أحمد ينبغي أن يفتوا بكفره لأجل هذا وحده، ولكنهم أثنوا عليه واعتذروا له، فلأي شيء أثنوا على يزيد مع علمهم بكلّ ما تقدم من فعله وخصاله، بينما كفّروا من استشفع بالرسول أو قصد زيارته وإن كان من كبار الصحابة والتابعين ومجتهديهم؟

هل لأن يزيد أفنى صحابة رسول ا (ص) وهتك أعراضهم واستباح أموالهم وذراريهم؟!

وعقيدة الوهابية في الصفات هي من صنف عقائد المجسمة، فهم ينسبون إلى ا تعالى الأعضاء على الحقيقة: كاليد، والرجل، والعين، والوجه، ثم يصفونه تعالى شأنه بالجلوس والحركة والانتقال والنزول والصعود، على الحقيقة كما يفهم من ظاهر اللفظ. تعالى ا عما يصفون.

[الهدية السنية – الرسالة الرابعة، لعبد اللطيف حفيد محمد بن عبد الوهاب].

وهذه العقيدة قلّدوا فيها ابن تيمية، وهي في الأصل عقيدة الحشوية من أصحاب الحديث الذين لا معرفة لهم بالفقه

والثابت من أصول الدين، فيجرون وراء ما يفهمون من ظاهر اللفظ، وقد أخذوا ذلك عن مجسمة اليهود.

فجاءوا بكلام لم يستطيعوا أن ينقلوا منه حرفًا واحدا عن واحد من الصحابة ولا واحد من الطبقة الأولى من التابعين، ثم زعموا أن هذا هو إجماع السلف، وزوروا ذلك بكلام طويل كلّه لفّ ودوران خال من أي برهان صادق.

بل لم يجدوا إلا كلمة واحدة أطلقها ابن تيمية جزافًا، وهي محض افتراء لا ينطلي إلا على البسطاء الذين لا يتثبتون مما يسمعون، وعلى المقلّدين المتعصبين..

يقول ابن تيمية في حجته الكبرى على مصدر هذه العقيدة ما نصه: إن جميع ما في القرآن من آيات الصفات فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها، وقد طالعتُ التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رووه من الحديث، ووقفت على ماء شاء ا من الكتب الكبار والصغار، أكثر من مئة تفسير فلم أجد إلى ساعتي هذه عن أحد من الصحابة أنّه تأول شيئا من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف. [تفسير سورة النور لابن تيمية: ١٧٨ – ١٧٩].

وقال في نفس الموضع إنه كان يكرر هذا الكلام في مجالسه كثيرا..

لكنه كلام باطل يشهد على بطلانه كلّ ما ورد في تفسير آيات الصفات، وخاصة في الكتب التي نقلت تفاسير الصحابة، والكتب التي كان يؤكد عليها ابن تيمية ويقول: إنها تروي تفاسير الصحابة والسلف بالأسانيد الصحيحة وليس فيها شيء من الموضوعات والأكاذيب، وأهمها: تفسير الطبري وتفسير ابن عطية، وتفسير البغوي.

[مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ٥١]

فهذه التفاسير جميعا نقلت عن الصحابة تأويل آيات الصفات بخلاف ظاهرها، وهذا جار في جميع آيات الصفات.

انظر مثلا تفسير آية الكرسي عند الطبري وابن عطية والبغوي، فهم جميعا يبدءون بقول ابن عباس: كرسيه علمه.

واكتفى ابن عطية بهذا ووصف ما ورد عن غير ابن عباس بأنه من الإسرائيليات وأخبار الحشوية التي يجب ألا تُحكى. [نقله عن الشوكاني في تفسيره – فتح القدير ١:٢٧٢]

وهكذا مع جميع الآيات التي جاء فيها ذكر الوجه: (وجه ربك) أو (وجهه) أو (وجه ا)، فأول ما ينقلونه عن الصحابة هو التأويل بالقصد أو الثواب أو نحوها كما يقتضي المقام.

إذن فبرهانهم الوحيد على عقيدتهم في التجسيم هو افتراء على الصحابة، وتزوير في الحقائق الدينية، ونسبة الباطل حتّى إلى كتب التفسير المتداولة بين الناس رغم سهولة التحقق من ذلك.

فهل سيحاول القارئ أن ينظر في هذه التفاسير ليقف على الحقيقة بعينه؟

خذ مثلاً تفسير البغوي الذي عظّمه ابن تيمية كثيرا وقال إنه لم يرو الموضوعات، وقفْ على تفسير هذه النبذة من آيات الصفات: البقرة آية ١١٥ و٢٥٥ (آية الكرسي) و٢٧٢، الرعد آية ٢٢، القصص آية ٨٨، الروم آية ٣٨ و ٣٩، الدهر آية ٩، الليل آية ٢٠.

لترى بعدئذ عظمة ما ارتكبه هؤلاء من افتراء وزيف وبهتان نسبوه إلى هذا الدين العظيم وإلى السلف.

ويعتقد الوهابية أنهم وحدهم أهل التوحيد الخالص، وأما سائر المسلمين فهم مشركون لا حرمة لدمائهم وذراريهم وأموالهم ودارهم دار حرب وشرك!!

ويعتقدون أن المسلم لا تنفعه شهادة أن "لا إله إلا ا محمد رسول ا " ما دام يعتقد بالتبرك بمسجد الرسول – مثلا – ويقصد زيارته ويطلب الشفاعة منه!

ويقولون أن المسلم الذي يعتقد بهذه الأمور فهو مشرك وشركه أشد من شرك أهل الجاهلية من عبدة الأوثان والكواكب!

[انظر من أمهات كتبهم: الرسائل العملية التسع لمحمد بن عبد الوهاب: ٧٩، تطهير الاعتقاد للصنعاني: ٧، ١٢، ٣٥ فتح المجيد: ٤٠ – ٤١ ورسالة أربع قواعد، ورسالة كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب، وغيرها]

ففي رسالة (كشف الشبهات) أطلق محمد بن عبد الوهاب لفظ الشرك والمشركين على عامة المسلمين عدا أتباعه في نحو ٢٤ موضعا، وأطلق عليهم لفظ: الكفّار، وعباد الأصنام، والمرتدين، وجاحدي التوحيد، وأعداء

التوحيد، وأعداء ا ، ومدعي الإسلام في نحو ٢٠ موضعا. وعلى هذا النحو سار أتباعه في سائر كتبهم.

فهل جاءوا بعقيدتهم هذه من إجماع السلف، أم هي بدعة منكرة؟

لقد نقل ابن حزم الأصل القائل: "إنّه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد أو فُتيا" ثم عد أئمة السلف القائلين به، إلى أن قال: "وهذا هو قول كل من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة، ولا نعلم فيه خلافًا".

[الفصل لابن حزم٢: ٢٤٧، وانظر أيضا اليواقيت والجواهر للشعراني: المبحث ٥٨]

أما ابن تيمية فقد صرح بأنه لم يكفّر المسلمين بالذنوب والاجتهادات إلا الخوارج. [مجموعة فتاوى ابن تيمية ١٣: ٢٠]

إذن ليس للوهابية سلف يقتدون به في بدعتهم هذه سوى الخوارج!!

ومما يثير الدهشة كثرة أوجه الشبه بين الوهابية والخوارج في ما شذوا به عن جماعة المسلمين حتى أنه ليخيل للدارس أن هؤلاء من أُولئك وإن تباعد بينهم الزمن!

ومن وأجه الشبه والتوافيق بين الطائفتين:

أ- شذّ الخوارج عن جميع المسلمين فقالوا: إن مرتكب الكبيرة كافر.

وشذ الوهابية فكفّروا المسلمين على ما عدوه من الذنوب [أُنظر كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب. وتطهير الاعتقاد للصنعاني]

ب- حكم الخوارج على دار الإسلام إذا ظهرت فيها الكبائر أنها دار حرب، وحلّ منها ما كان يحل لرسول ا (ص) من دار الحرب، أي تُهدر دماؤهم وأموالهم.

وهكذا حكم الوهابية على دار الإسلام وإن كان أهلها من أعبد الناس تعالى وأكثرهم صلاحا إذا كانوا يعتقدون جواز السفر لزيارة قبر النبي ومشاهد الصالحين ويطلبون منهم الشفاعة.

ويلاحظ في النقطتين معا أن الوهابية شر من الخوارج، فالخوارج نظروا إلى أمور أجمع المسلمون على أنّها كبائر، بينما ركّز الوهابية على أعمال ليست هي من الذنوب أصلاً، بل هي من المستحبات التي عمل بها

السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم بلا خلاف، كما تقدم بيانه.

ح- تشابه الوهابية والخوارج في التشدد في الدين والجمود في فهمه.

فالخوارج لما قرءوا قوله تعالى (إن الحكم إلا) قالوا: من أجاز التحكيم فقد أشرك با تعالى واتخذوا شعارهم (لا حكم إلا) كلمة حق يراد بها باطل، فقولهم هذا جمود وجهل كبير، فالتحكيم في الخصومات ثابت في القرآن الكريم وفي بداهة العقول وفي السنة النبوية وسيرة الرسول والصحابة والتابعين.

وكذلك الوهابية لما قرءوا قوله تعالى: ﴿ إِياك نَعبـد وإِيـاك نَستَعِين ﴾

وقوله تعالى: ﴿ من ذا الذي يشفَع عنده إلا بإذنه ﴾

وقوله ﴿ لا يشْفَعون إلا لمن ارتضى ﴾ قالوا: إن من قال بجواز طلب الشفاعة من النبي والصالحين فقد أشرك با ، ومن قصد زيارة النبي وسأله الشفاعة فقد عبده واتّخذه إلها من دون ا ، فكان شعارهم (لا معبود إلا ا) و(لا شفاعة إلا)، وهي كلمة حق يراد بها باطل، وهي جمود أيضا وجهل

كبير، وجواز هذه الأمور ثابت في سيرة الصحابة والتابعين كما تقدم.

د – قال ابن تيمية: "الخوارج أول بدعة ظهرت في الإسلام فكفّر أهلها المسلمين واستحلّوا دماءهم" [مجموعة الفتاوى ١٣: ٢٠]

وهكذا كانت بدعة الوهابية وهي آخر بدعة ظهرت في الإسلام.

هـ - الأحاديث الشريفة التي صحت في الخوارج ومروقهم من الدين، انطبق بعضها على الوهابية أيضا.. ففي الصحيح عنه (ص) قال: "يخرج أُناس من قِبل المشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، سيماهم التحليق". [البخاري – كتاب التوحيد – باب ٥٧ح/ ٧١٢٣]

قال القسطلاني في شرح هذا الحديث: "من قبل المشرق: أي من جهة شرق المدينة كنجد وما بعدها"

[إرشاد الساري ١٥: ٦٢٦ طبعة دار الفكر سنة ١٤١٠ هـ]

ونجد هي مهد الوهابية وموطنها الأول الذي منه ظهرت وانتشرت..

وأيضا فإن حلق الرءوس كان شعارا للوهابية يأمرون به من اتبعهم وحتى النساء.

ولم يكن هذا الشعار لأحد من أهل البدع قبلهم، لذا كان بعض العلماء المعاصرين لظهور الوهابية يقولون: "لا حاجة إلى التأليف في الرد على الوهابية، بل يكفي في الرد عليهم قوله (ص): (سيماهم التحليق) فإنه لم يفعله أحد من المبتدعة غيرهم". [فتنة الوهابية]

و- جاء في الحديث النبوي الشريف في وصف الخوارج: "يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان" [ذكره ابن تيمية في مجموعة الفتاوى ١٣: ٣٢].

وهذا هو حال الوهابية تماما، فلم يشنوا حربا إلا على أهل القبلة، ولم يعرف في تاريخهم أنهم قصدوا أهل الأوثان بحرب أو عزموا على ذلك، بل لم يدخل ذلك في مبادئهم وكتبهم التي امتلأت بوجوب قتال أهل القبلة!!

ز- روى البخاري عن ابن عمر أنه قال في وصف الخوارج: "إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار، فجعلوها على المؤمنين" [البخاري – كتاب استتابة المرتدين – باب ٥]

وورد عن ابن عباس أنه قال: "لا تكونوا كالخوارج، تأولّوا آيات القرآن في أهل القبلة، وإنما ٱنزلت في أهل الكتاب والمشركين، فجهلوا علمها فسفكوا الدماء وانتهبوا الأموال]

وهذا هو شأن الوهابية، انطلقوا إلى الآيات النازلة في عبدة الأوثان فجعلوها على المؤمنين، بهذا امتلأت كتبهم، وعليه قام مذهبهم.

ح – حوار بين سنّي ووهابي:

قال الوهابي: إن كتب الحنابلة هي كتب الوهابية، فما تَنكر منها؟ وليس لك أن تؤاخذهم إلا بما تجده صريحا في كتبهم، ولا عبرة بنقل الخصم.

قال السني: ما تقول في القرامطة؟

قال الوهابي: كفّار ملاحدة.

قال السنّي: إنهم يزعمون أن مذهبهم مذهب أهل البيت، وأن كتب أهل البيت هي كتبهم، فهل تجد في كتب أهل البيت إلا الحق والنور؟

قال الوهابي: إن القرامطة كذبوا، وهؤلاء نقلة التاريخ يثبتون كفر القرامطة وزورهم.

قال السنّي: هل ترى قيام الحجة بنقل أهل التاريخ؟

قال الوهابي: نعم، فإن الشافعي صرح بأن نقلهم جماعة عن جماعة أحب إليه من نقل أهل الحديث واحدا عن واحد.

قال السني: إذن يجب أن تقبل مني نقل المؤرخين المشاهدين للوهابية ما هو صريح في كفرهم!

وأضاف: أن فعل المرء حجة ودليل عليه وإن كذّبه لسانه، فالقرامطة لما استحلوا دماء المسلمين وأموالهم لم تبق شبهة في كفرهم، وكذلك سادتك.

فغضب الوهابي ولم يدر ما يقول..

قال السني: ما تقول في ما ورد في الخوارج ومروقهم وأنهم كلاب النار، وشر قتلى تحت أديم السماء؟

قال الوهابي: إن المجموع يفيد العلم القطعي بمروق الخوارج واستحقاقهم غضب ا ، ولكنّهم هم الذين قتلهم علي بالنهروان، وليس الوهابية منهم.

قال السنّي: بم استحق أولئك غضب ا ، أبكونهم يحقّر الصحابة صلاتهم في جنب صلاتهم وصيامهم في جنب صيامهم؟

قال الوهابي: لا

قال السنّي: أبسبب زهدهم وتقشفهم وقراءتهم القرآن يقومونه كالقدح، وقولهم من قول خير البرية؟ [جاء في الحديث في وصف الخوارج: "يقولون من قول خير البرية" أي أنهم يقولون بألسنتهم الحق]

قال الوهابي: لا

قال السنّي: فبماذا إذن؟.. فتلعثم الوهابي..

فقال السنّي: ما ذاك إلا باستحلالهم دماء المسلمين وأموالهم، وتكفيرهم لهم، مع ادعائهم أنهم هم المسلمون وحدهم، ولا شك أن من اتّصف بما اتصفوا به يستحق ما استحقوا بتلك الصفة.

- الوهابية والغلاة..

الغُلاة هم الذين بالغوا في تعظيم الرجال فرفعوهم فوق منازل البشر.

وفي الوقت الذي كان فيه محمد بن عبد الوهاب يبشر بدعوته الجديدة في نجد، كان رجل آخر يبشّر بدعوة أُخرى جدد فيها كثيرا مما كان قد اندرس من عقائد الغُلاة الأوائل الذين غلوا في الإمام علي وأهل البيت عليهم السلام، وقد شابهت دعوته دعوة محمد بن عبد الوهاب في تكفير من خالفه من المسلمين وفي الطعن على الصحابة، وزادت هذه الأخيرة على الوهابية فصرحت بتكفير أغلب الصحابة، ذلك الرجل هو (الشيخ أحمد الأحسائي المتوفّى سنة ١٢٤١ هـ) وسمي أتباعه (الشيخية).

ولما مات أحمد الأحسائي كان خليفته كاظم الرشتي ومقرة مدينة كربلاء.

فما هو موقف الوهابية من هذه الدعوة المعاصرة لها؟

لقد غزت الوهابية كربلاء في الوقت الذي كان يتمركز فيها الشيخية وزعيمهم كاظم الرشتى، وعلى عادتهم في سائر حروبهم قتلوا آلاف الرجال والأطفال والنساء ونهبوا الأموال

وخربوا البيوت، ولكن في أثناء ذلك منحوا كاظم الرشتى الأمان، وجعلوا بيته آمنا، ومن لجأ إليه فهو آمن! [الوهابية نقد وتحليل لهمايون همتي: ٢٤]

إنه موقف يكشف عن حقيقة الوهابية، ويفضح زيف ادعائهم في إخلاص التوحيد ومحاربة الشرك!

وهنا التفاتة إلى الوراء مع ابن تيمية الذي يزعم الوهابية أنه قدوتهم وإمامهم، وموقفه من إحدى الفرق الغالية، وهي الفرقة اليزيدية التي غلت بيزيد بن معاوية، ومنهم (العَدوية) نسبة إلى عدي بن مسافر الذي كان قدوتهم أولاً ثم غلوا فيه وفي يزيد. وقد عاصر ابن تيمية فترة نمو هذه الفرقة وكان له معهم موقف يثير الكثير من الشكوك وعلامات الاستفهام.

فابن تيمية مشهور بحدته وهجومه على سائر الفرق الإسلامية ووصفها بالضلال والزيغ والانحراف، فكيف خاطب هؤلاء الغُلاة المشركين؟

لقد كتب إليهم كتابا استهلّه بكلام عجيب يصفهم فيه بالإسلام والإيمان، ويسدي لهم النصح بأسلوب أخوي هادئ لا تجد منه حرفا واحدا في كلامه عن الفرق الإسلامية

الأخرى كالأشعرية والشيعة الإمامية والزيدية والمعتزلة والمرجئة وغيرهم. فقال: "من أحمد بن تيمية إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين المنتسبين إلى السنة والجماعة، المنتمين إلى جماعة الشيخ العارف القدوة أبي البركات عدي ابن مسافر الأموي رحمه ا ، ومن نحى نحوهم، وفّقهم ا لسلوك سبيله وأعانهم على طاعته وطاعة رسوله.. سلام ا عليكم ورحمة ا وبركاته، وبعد.." [الوصية الكبرى لابن تيمية: ٥]

هكذا جعلهم من المسلمين المنتسبين إلى السنة والجماعة مع أنهم من الغلاة بلا خلاف.. والغلاة مشركون خارجون عن الإسلام بإجماع الفرق الإسلامية وبمقتضى الكتاب والسنة، لأنهم أخلّوا بالتوحيد فخرجوا منه إلى الشرك!

فهل سيكون في هذه المواقف عبرة؟

- الوهابية في خدمة من؟

هل فكر الوهابية يوما ما بمصالح المسلمين الكبرى؟

هل فكّروا يوما في التصدي للمطامع الاستعمارية في بلادنا الإسلامية؟

هل شغلهم الغزو الغربي لبلاد المسلمين؟

ماذا قدموا في مواجهة النفوذ الصليبي والصهيوني في بلاد الإسلام؟

ما هو موقفهم من الولاء للغرب وفتح الأبواب أمامه ليبسط يديه على ثروات المسلمين وعلى سيادتهم وكرامتهم؟

لم يعد شيء من ذلك خفيا على أحد، فما إن يفتح المسلم عينيه إلا ويدرك أن الوهابية هم أول خدام الاستعمار الغربي في بلاد المسلمين..

وليس هذا فقط، بل إنّك لو تتبعت تراث محمد بن عبد الوهاب وقادة الوهابية الأوائل من بعده فلا تجد فيه أثرا لعمارة الأرض، وإقامة العدل، وإنصاف المظلوم، ومكافحة الفقر والجهل..

ولا تجد فيه أثرا لتحسين وجه الحياة، وتحقيق التقدم العلمي والاقتصادي والاجتماعي..

ولا أثرا للسلم والرخاء..

بل لا تجد فيه سوى تكفير المسلمين ورميهم بالشرك، وإيجاب قتالهم واستباحة دمائهم وأموالهم!!

إن كل الذي يشغلهم هو وجود قبر هنا، ومسجد هناك، ورجل يقول: يا نبي الرحمة اشفع لي عند ا !!

هذا هو شغلهم لا غير، وهذا هو همهم الوحيد الذي انطلقوا تحت غطائه يسفكون دماء المسلمين ويستبيحون المحرمات ويثيرون الفتن واحدة بعد الأخرى، ولا يهمهم بعد ذلك أن تكون بلاد المسلمين غرضا للأعداء من مشركين وكفّار وصليبيين وصهاينة.

هل هز مشاعر شيوخ الوهابية وأمرائهم ما جرى لبيت المقدس، ولمسلمي البوسنة والهرسك ولبنان، كما هزهم قبر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب الذي كان الصحابة يزورونه ويصلّون عنده؟

أما أثارهم التسلّط الأمريكي على منابع النفط في بلادنا الإسلامية، كما أثارهم قبر ريحانة الرسول الحسين بن علي الذي كان الصحابة والتابعون يشدون الرحال لزيارته وحتى في زمن الإمام أحمد بن حنبل كما تقدم نقله عن ابن تيمية؟

وهل سيثيرهم الحصار المفروض على الشعب الليبي المسلم بلا حجة وبلا أدنى ذريعة يمكن قبولها كما أثارهم ما وجدوه من هدايا علّقت عند قبر الرسول الأكرم (ص)؟

ليتنا نجد منهم ذلك أو بعضا من ذلك..

إنها لمن دواعي الأسى أن تنفق كل هذه الأوقات والجهود والأموال والطاقات الفكرية في الخوض في سفاسف الأمور وتوافه الكلام التي لا ينشد لها إلا الجهلة والغوغاء والعاطلون من الناس.

إن الذي جعل الوهابية يجدون شغلهم الشاغل في هذه المواضع عدة أمور كلها تصدق عليهم:

منها: الضحالة الفكرية وضيق الأفق. فهم لا يحسنون شيئًا إلا هذا النوع من الكلام، ولا تستوعب أذهانهم سوى هذا المدى من التفكير.

ومنها: العجز عن فهم الحياة وعن مواكبة العصر..

فهم عاجزون تماما عن التقدم في البحوث الدينية والعلمية والاجتماعية تقدما مقبولاً في هذا العصر الحديث، فينكّبون على الكلام البالي والمتهرئ فيبالغون في تعظيمه وتقديسه لكي يجدوا لأنفسهم منفذًا يطلّون منه على هذا العالم المتقدم.

ومنها: ضيق صدورهم وامتلاء قلوبهم بالحقد وكراهية الخير وحب الشر لهذه الأمة؛ فمن تتبع لهجاتهم ونبراتهم المتشنجة والمتوترة وانشدادهم انشدادا في غير محلّه

وتهورهم في الخطاب، لمس فيهم الضحالة وضيق الأفق والحقد والبغض والهمجية والتخلّف بكل معانيها.

ومنها: موالاتهم الصريحة والعلنية لأعداء الإسلام.. وهذا موضوع لا يحتاج إلى بيان وليس هو بخاف على أحد فليس بين فئات المسلمين من يدين بالولاء للغرب كما يدين له الوهابية، يخضعون له ويتقربون إليه ويدافعون عن عملائه الخونة، وما يزال هذا هو دينهم الذي لا يرتضون له بدلاً.

إن وجودهم في بلاد الإسلام فتح ولا يزال يفتح الأبواب أمام الصهيونية والصليبية المعتدية لتنفُذ كما تشاء في الكيان الإسلامي، فتمزق وتنهب وتدمر وتحاصر وتبسط نفوذها، وهؤلاء يمهدون لها كل شيء ويساندون إخوانهم الخونة في كل مكان..

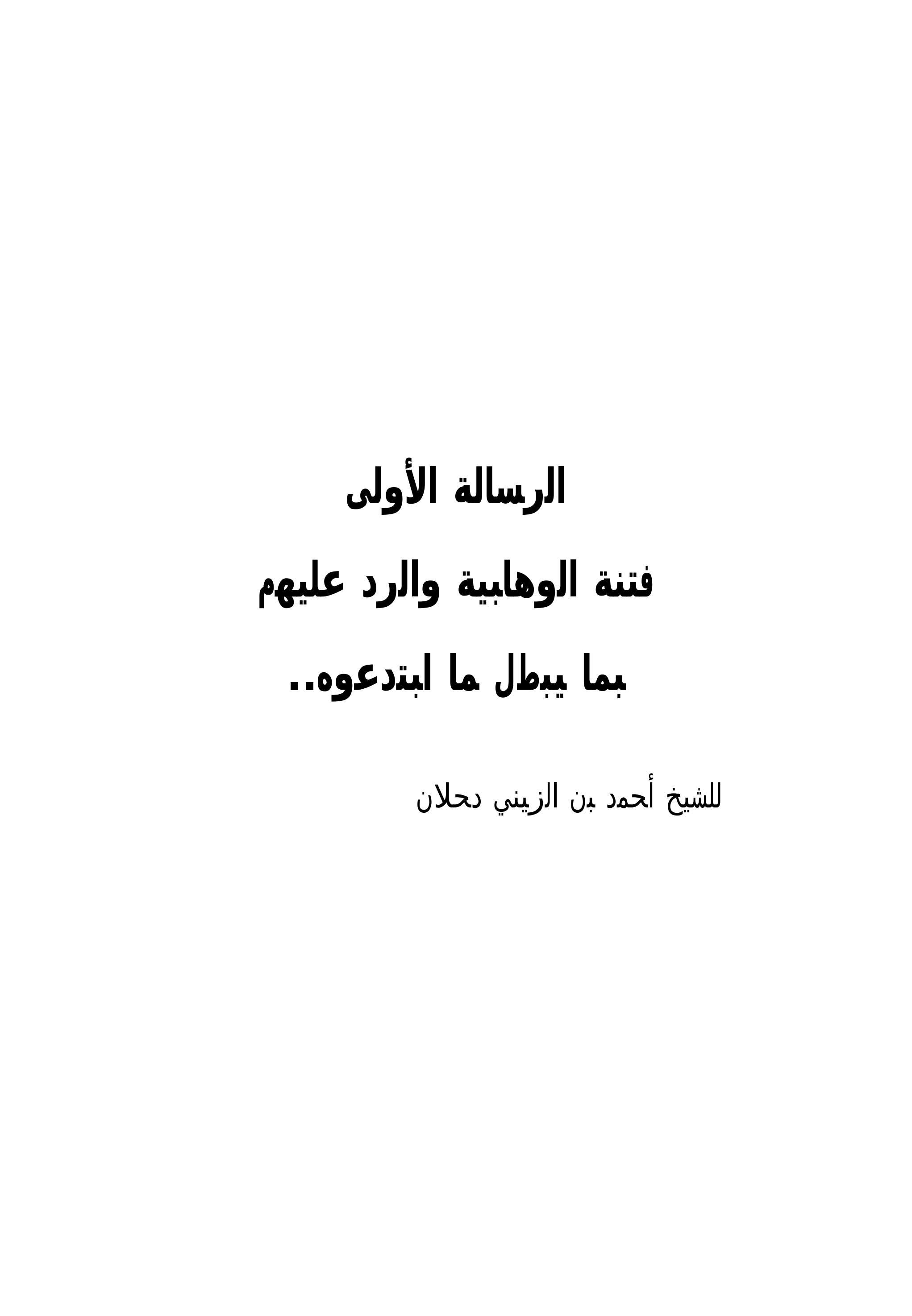
إنّهم الجرثومة الخبيثة التي مهدت للغرب سابقا أن يزرع إسرائيل اللقيطة في قلب هذه الأمة.. وهم الذين ساندوا على الدوام جميع الأنظمة العميلة للغرب ووقفوا معها بوجه حركات التحرر الأبية.

وهم الجرثومة الخبيثة التي تمهد اليوم لتثبيت أقدام المعسكر الغربي في قلب العالم الإسلامي ولتثبيت إسرائيل اللقيطة حتى لا يفكّر أحد في إزالتها..

وهم الأيادي اللعينة التي يحركها الغرب لمواجهة الصحوة الإسلامية المتصاعدة اليوم ومساندة الأنظمة العميلة والمنافقة التي تتولى قمع الصحوة الإسلامية بالنار والحديد.

هذه هي حقيقة ما أنجزته الوهابية وما ينجزونه اليوم وما يدينون به لمستقبلهم!!

إنّهم يخشون الصحوة الإسلامية كما تخشاها إسرائيل، لأن مصيرهم أصبح رهينًا بمصير إسرائيل.

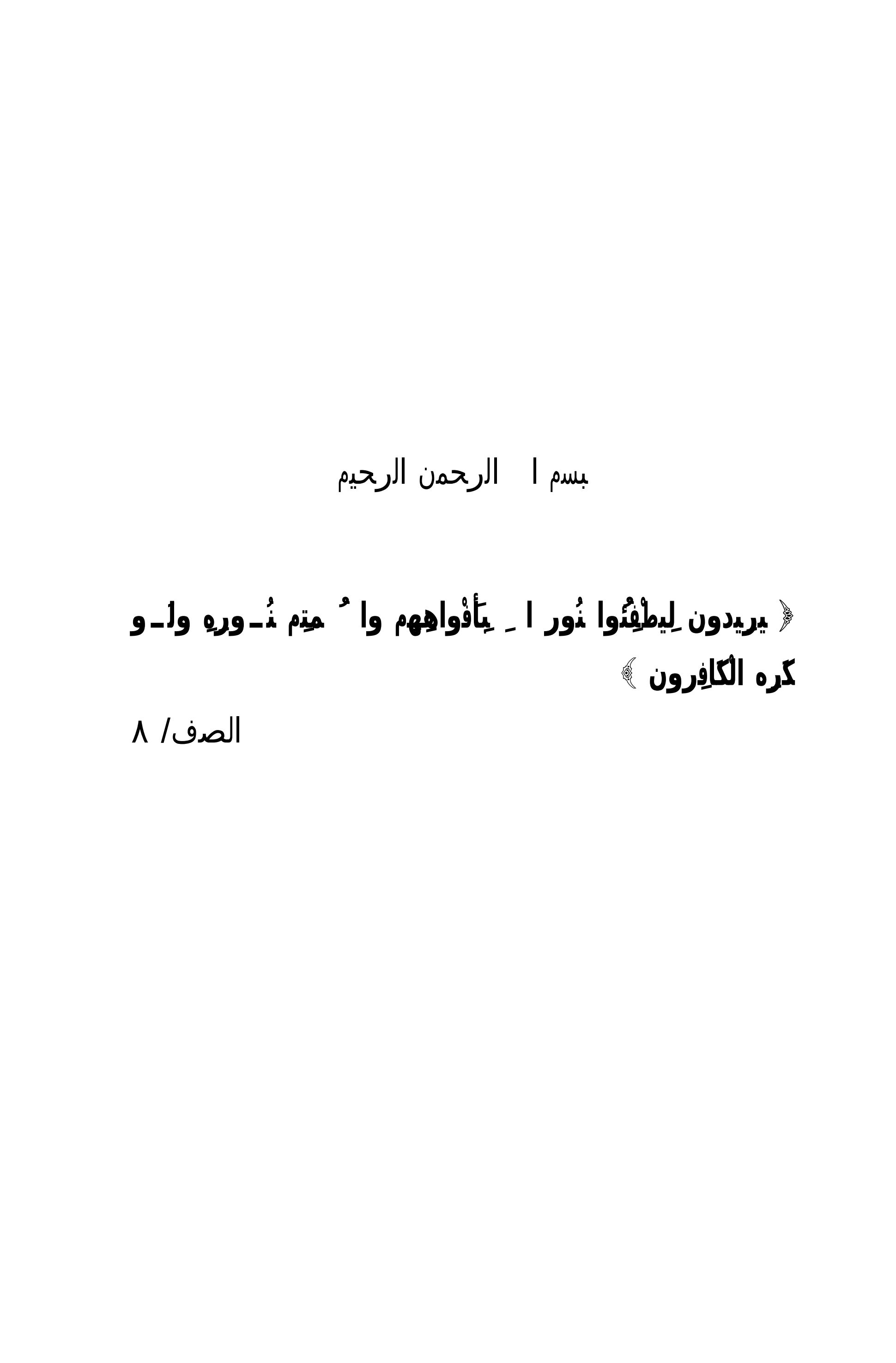


الرسالة الأولى

فتنة الوهابية والرد عليهم

بما يبطل ما ابتدعوه..

للشيخ أحمد بن الزيني دحلان



بسم ا الرحمن الرحيم

﴿ يريدون لِيطْفِئُوا نُور ا ـِ بِأَفْواهِهم وا ُ مِتم نُـورِهِ ولَـو كَره الْكَافِرون ﴾

الصف/ ٨

في سنة ١٢٠٥ هـ كان ابتداء فتنة الوهابية وابتداء الحرب والقتال بين مولانا الشريف غالب وطائفة الوهابية التابعين لمحمد بن عبد الوهاب في عقيدته التي كفر بها المسلمين..

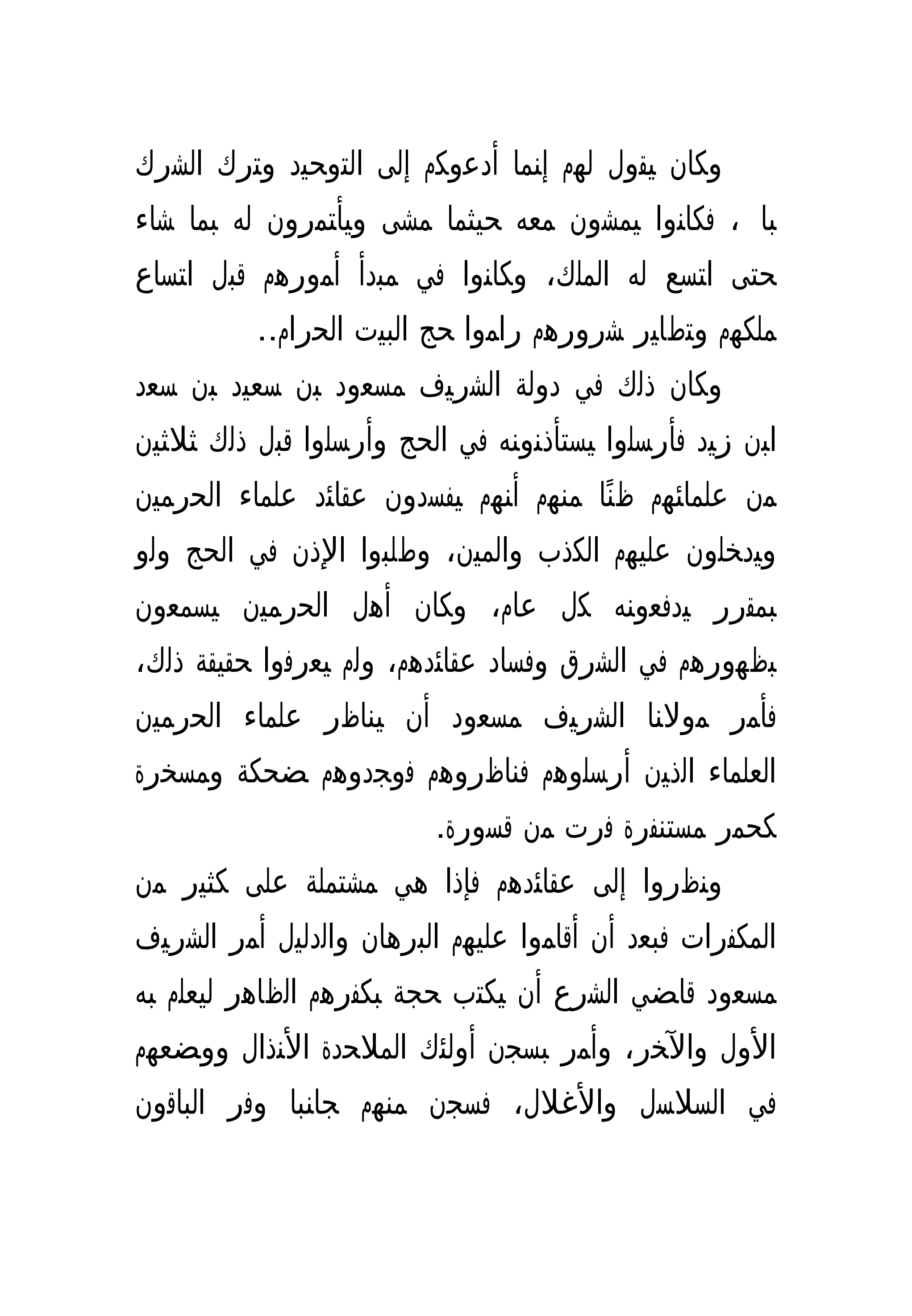
- ذكر ابتداء أمرهم وحقيقة حالهم:

كانت فتنتهم من أعظم الفتن التي ظهرت في الإسلام طاشت من بلاياها العقول وحار فيها أرباب المعقول وكان ابتداء ظهور محمد بن عبد الوهاب سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين، واشتهر أمره بعد الخمسين فأظهر العقيدة الزائغة بنجد وقرأها فقام بنصرته وإظهار عقيدته محمد بن سعود أمير الدرعية بلاد مسيلمة الكذاب[٤]

فحمل أهلها على متابعة محمد بن عبد الوهاب فيما يقول فتاعبه أهلها، وسيأتي ذكر شيء من عقيدته التي حمل الناس عليها وما زال يطيعه على هذا الأمر كثير من أحياء العرب حي بعد حي حتى قوي أمره فخافته البادية.

---

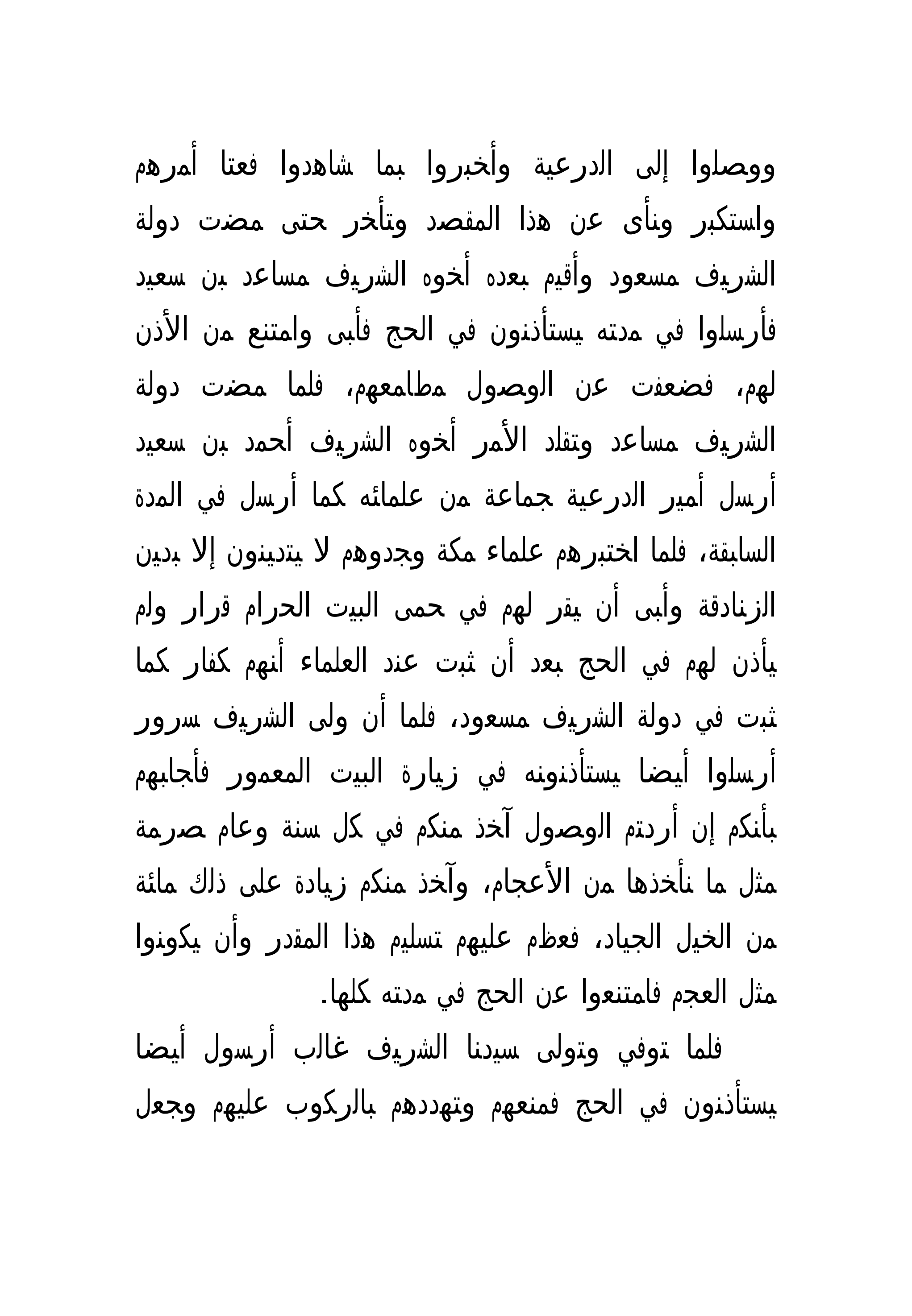
[4]) مسيلمة الكذاب من بني حنيفة قتل عام ١١ هـ (٦٣٣م)..
وتوفي محمد بن سعود عام ١١٧٨ هـ (١٧٦٥م)



وكان يقول لهم إنما أدعوكم إلى التوحيد وترك الشرك بها ، فكانوا يمشون معه حيثما مشى ويأتمرون له بما شاء حتى اتسع له الملك، وكانوا في مبدأ أمورهم قبل اتساع ملكهم وتطاير شرورهم راموا حج البيت الحرام..

وكان ذلك في دولة الشريف مسعود بن سعيد بن سعد ابن زيد فأرسلوا يستأذنونه في الحج وأرسلوا قبل ذلك ثلاثين من علمائهم ظنًا منهم أنهم يفسدون عقائد علماء الحرمين ويدخلون عليهم الكذب والمين، وطلبوا الإذن في الحج ولو بمقرر يدفعونه كل عام، وكان أهل الحرمين يسمعون بظهورهم في الشرق وفساد عقائدهم، ولم يعرفوا حقيقة ذلك، فأمر مولانا الشريف مسعود أن يناظر علماء الحرمين العلماء الذين أرسلوهم فناظروهم فوجدوهم ضحكة ومسخرة كحمر مستنفرة فرت من قسورة.

ونظروا إلى عقائدهم فإذا هي مشتملة على كثير من المكفرات فبعد أن أقاموا عليهم البرهان والدليل أمر الشريف مسعود قاضي الشرع أن يكتب حجة بكفرهم الظاهر ليعلم به الأول والآخر، وأمر بسجن أولئك الملاحدة الأنذال ووضعهم في السلاسل والأغلال، فسجن منهم جانبا وفر الباقون



ووصلوا إلى الدرعية وأخبروا بما شاهدوا فعتا أمرهم واستكبر ونأى عن هذا المقصد وتأخر حتى مضت دولة الشريف مسعود وأقيم بعده أخوه الشريف مساعد بن سعيد فأرسلوا في مدته يستأذنون في الحج فأبى وامتنع من الأذن لهم، فضعفت عن الوصول مطامعهم، فلما مضت دولة الشريف مساعد وتقلد الأمر أخوه الشريف أحمد بن سعيد أرسل أمير الدرعية جماعة من علمائه كما أرسل في المدة السابقة، فلما اختبرهم علماء مكة وجدوهم لا يتدينون إلا بدين الزنادقة وأبى أن يقر لهم في حمى البيت الحرام قرار ولم يأذن لهم في الحج بعد أن ثبت عند العلماء أنهم كفار كما ثبت في دولة الشريف مسعود، فلما أن ولى الشريف سرور أرسلوا أيضا يستأذنونه في زيارة البيت المعمور فأجابهم بأنكم إن أردتم الوصول آخذ منكم في كل سنة وعام صرمة مثل ما نأخذها من الأعجام، وآخذ منكم زيادة على ذلك مائة من الخيل الجياد، فعظم عليهم تسليم هذا المقدر وأن يكونوا مثل العجم فامتنعوا عن الحج في مدته كلها.

فلما توفي وتولى سيدنا الشريف غالب أرسول أيضا يستأذنون في الحج فمنعهم وتهددهم بالركوب عليهم وجعل

ذلك القول فعلا فجهز عليهم جيشا في سنة ألف ومائتين وخمسة واتصلت بينهم المحاربات والغزوات إلى أن انقضى تنفيذ مراد ا فيما أراد.

وسيأتي شرح تلك الغزوات والمحاربات بعد توضيح ما كانوا عليه من العقائد الزائغة التي كان تأسيسها من محمد ابن عبد الوهاب، وقد عاش من العمر سنين حتى كاد أن يعد من المنظرين وخلف اولاد أخبث منه قاموا بنشر دعوته بعده وأولاده هم عبد ا وحسن وحسين وعلي.

وكان عبد ا الأكبر فقام بالدعوة بعد أبيه وخلف سليمان وعبد الرحمن وكان سليمان متعصبا تعصبا شديدا في أمرهم، قتله إبراهيم باشا سنة ثلاث وثلاثين، وعبد الرحمن قبض عليه وأرسله إلى مصر فعاش مدة ثم مات بمصر.

وأما حسن بن محمد بن عبد الوهاب فخلف عبد الرحمن وولى قضاء مكة في بعض السنين التي كانوا يحكمون فيها بمكة وعمر عبد الرحمن هذا حتى قارب المائة وخلف عبد اللطيف.

وأما حسين بن محمد بن عبد الوهاب فخلف أولادا كثيرين وكذا علي بن محمد بن عبد الوهاب خلف أولادا

كثيرين ولم يزل نسلهم باقيا إلى الآن بالدرعية يسمونهم أولاد الشيخ..

وكان القائم بنصرة محمد بن عبد الوهاب ونشر عقيدته محمد بن سعود ولما مات قام بعده بالأمر ولده عبد العزيز ثم ولده سعود، وكان محمد بن عبد الوهاب في ابتداء أمره من طلبة العلم، وتردد على مكة والمدينة وأخذ عن كثير من علماء مكة والمدينة وممن أخذ عنه من علماء المدينة الشيخ محمد بن سليمان الكردي مؤلف حواشي شرح مختصر في مذهب الشافعي، وأخذ أيضا عن الشيخ محمد حياة السندي من أكابر علماء الحنفية بالمدينة.[5]

وكان الشيخان المذكوران وغيرهما من أشياخه الذين أخذ عنهم يتفرسون فيه الإلحاد والضلال ويقولون سيضل هذا ويضل ا به من أبعده وأشقاه، فكان الأمر كذلك وما أخطأت فراستهم فيه.

وكذا والده عبد الوهاب فإنه كان من العلماء الصالحين فكان يتفرس فيه الإلحاد ويذمه كثيرا ويحذر الناس منه.

---

[5]) محمد حياة السندي من أكابر علماء الحنفية توفي عام ١١٦٣ هـ (١٧٤٩م)

وكذا أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب فإنه أنكر عليه ما أحدثه من البدع والضلال والعقائد الزائغة وألف كتابا في الرد عليه. [٦]

وكان في أول أمره مولعا بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذبا كمسيلمة الكذاب وسجاح والأسود العنسي وطليحة الأسدي وأضرابهم، فكان يضمر في نفسه دعوى النبوة ولو أمكنه إظهار هذه الدعوى لأظهرها..

وكان يسمي جماعته من أهل بلده الأنصار، ويسمي من اتبعه من الخارج المهاجرين، وإذا اتبعه أحد وكان قد حج حجة الإسلام يقول له حج ثانيا فإن حجتك الأولى فعلتها وأنت مشرك فلا تقبل ولا تسقط عنك الفرض..

وإذا أراد أحد أن يدخل في دينه يقول له بعد الإتيان بالشهادتين اشهد على نفسك أنك كنت كافرا واشهد على والديك أنهما ماتا كافرين، واشهد على فلان وفلان ويسمى له جماعة من أكابر العلماء الماضين أنهم كانوا كفارا، فإن شهدوا قبلهم وإلا أمر بقتلهم..

---

[6]) أشرنا إلى هذا الكتاب فيما سبق وقد تم طبعه في القاهرة منذ فترة قصيرة..

وكان يصرح بتكفير الأمة من منذ ستمائة سنة..

وكان يكفر كل من لا يتبعه وإن كان من أتقى المتقين فيسميهم مشركين ويستحل دماءهم وأموالهم ويثبت الإيمان لمن اتبعه وإن كان من أفسق الفاسقين..

وكان ينتقض النبي (ص) كثيرا بعبارات مختلفة ويزعم أن قصده المحافظة على التوحيد.

فمنها أن يقول أنه طارش وهو في لغة أهل الشرق بمعنى الشخص المرسل من قوم إلى آخرين بمعنى أنه (ص) حامل كتب مرسلة معه، أي غاية أمره أنه كالطارش الذي يرسله الأمير أو غيره في أمر لأناس ليبلغهم إياه ثم ينصرف.

ومنها أنه كان يقول نظرت في قصة الحديبية فوجدت بها كذا كذا كذبة إلى غير ذلك مما يشبه هذا حتى أن أتباعه كانوا يفعلون ذلك أيضا ويقولون مثل قوله، بل يقولون أقبح مما يقوله ويخبرونه بذلك فيظهر الرضا وربما أنهم تكلموا بذلك بحضرته فيرضى.

حتى أن بعض أتباعه كان يقول عصاي هذه خير من محمد لأنها ينتفع بها في قتل الحية ونحوها ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلاً وإنما هو طارش ومضى.

قال بعض العلماء أن ذلك كفر في المذاهب الأربعة بل هو كفر عند جميع أهل الإسلام.

ومن ذلك أنه كان يكره الصلاة على النبي (ص) ويتأذى بسماعها وينهى عن الإتيان بها ليلة الجمعة وعن الجهر بها على المنابر ويؤذي من يفعل ذلك ويعاقبه أشد العقاب حتى أنه قتل رجلا أعمى كان مؤذنا صالحا ذا صوت حسن نهاه عن الصلاة على النبي (ص) في المنارة بعد الأذان فلم ينته وأتى بالصلاة على النبي (ص) فأمر بقتله فقتل.

ثم قال: إن الربابة في بيت الخاطئة (يعني الزانية) أقل إثما ممن ينادي بالصلاة على النبي (ص) في المنابر ويلبس على أصحابه وأتباعه بأن ذلك كله محافظة على التوحيد..

فما أفظع قوله وما أشنع فعله..

وأحرق دلائل الخيرات وغيرها من كتب الصلاة على النبي (ص) ويتستر بقوله أن ذلك بدعة وأنه يريد المحافظة على التوحيد..

وكان يمنع أتباعه من مطالعة كثير من كتب الفقه والتفسير والحديث، وأحرق كثيرا منها وأذن لكل من تبعه أن يفسر القرآن بحسب فهمه، حتى همج الهمج من أتباعه فكان كل واحد منهم يفعل ذلك ولو كان لا يحفظ شيئًا من القرآن، حتى صار الذي لا يقرأ منهم يقول لمن يقرأ اقرأ لي شيئا من القرآن وأنا أفسره لك، فإذا قرأ له شيئًا يفسره.

وأمرهم أن يعملوا بما فهموه منه وجعل ذلك مقدما على كتب العلم ونصوص العلماء..

وتمسك في تكفير الناس بآيات نزلت في المشركين فحملها على الموحدين..

وقد روى البخاري عن عبد ا بن عمر في وصف الخوارج أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين.

وفي رواية أخرى عن ابن عمر عند غير البخاري أنه (ص) قال: أخوف ما أخاف على أمتي رجل متأول للقرآن يضعه في غير موضعه.. [٧]

---

[7]) أشرنا إلى هذه الروايات فيما سبق وسيأتي ذكرها في الرسالتين التاليتين..

فهذا وما قبله صادق على ابن عبد الوهاب ومن تبعه..

- ضلالته وجرائمه:

ومما يدعيه محمد بن عبد الوهاب أنه أتى بدين جديد كما يظهر من أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا لم يقبل من دين نبينا (ص) إلا القرآن، مع أنه إنما قبله ظاهرا فقط لئلا يعلم الناس حقيقة أمره فينكشفوا عليه بدليل أنه هو وأتباعه إنما يؤولونه بحسب ما يوافق أهواءهم لا بحسب ما فسره النبي (ص) وأصحابه والسلف الصالح وأئمة التفسير، فإنه لا يقول بذلك كما أنه لا يقول بما عدا القرآن من أحاديث النبي (ص) وأقاويل الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ولا بما استنبطه الأئمة من القرآن والحديث، ولا يأخذ بالإجماع ولا القياس الصحيح..

وكان يدعي الانتساب إلى مذهب الإمام أحمد كذبا وتسترا وزورا وأحمد بريء منه، ولذاك انتدب كثير من علماء الحنابلة المعاصرين له للرد عليه..

وألفوا في الرد عليه رسائل كثيرة حتى أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ألف رسالة في الرد عليه وأعجب من ذلك أنه كان يكتب إلى عماله الذين هم من أجهل الجاهلين:

اجتهدوا بحسب فهمكم ونظركم واحكموا بما ترونه مناسبا لهذا الدين ولا تلتفتوا لهذه الكتب فإن فيها الحق والباطل.

وقتل كثيرا من العلماء والصالحين وعوام المسلمين لكونهم لم يوافقوه على ما ابتدعه..

وكان يقسم الزكاة على ما يأمره به شيطانه وهواه وأصحابه لا ينتحلون مذهبا من المذاهب بل يجتهدون كما كان يأمرهم ويتسترون ظاهرا بمذهب الإمام أحمد ويلبسون بذلك على العامة.

وكان ينهى عن الدعاء بعد الصلاة، ويقول إن ذلك بدعة وأنكم تطلبون أجرا على الصلاة وأمر القائم بدينه عبد العزيز بن سعود[٨] أن يخاطب المشرق والمغرب برسالة يدعوهم إلى التوحيد وأنهم عنده مشركون شركًا أكبر يستبيح به الدم والمال، فكان ضابط الحق عنده ما وافق هواه وإن خالف لنصوص الشريعة وإجماع الأئمة، وضابط الباطل عنده ما لم يوافق هواه وإن كان على نص جلي أجمعت عليه الأمة..

---

[8]) عبد العزيز بن محمد بن سعود قتل عام ١٢١٧ هـ (١٨٠٣) في مسجد الدرعية بيد أحد عناصر الشيعة..

وكان يقول في كثير من أقوال الأئمة الأربعة ليس بشيء، وتارة يتستر ويقول إن الأئمة على حق ويقدح في أتباعهم من العلماء الذين ألفوا في المذاهب الأربعة وحرروها، ويقول إنهم ضلوا وأضلوا، وتارة يقول إن الشريعة واحدة فما لهؤلاء جعلوها مذاهب أربعة، هذا كتاب ا وسنة رسوله لا نعمل إلا بهما ولا نقتدي بقول مصري وشامي وهندي؛ يعني بذلك أكابر علماء الحنابلة وغيرهم ممن لهم تأليف في الرد عليه واحتجوا في الرد عليه بنصوص الإمام أحمد..

وكان يخطب الجمعة في مسجد الدرعية ويقول في كل خطبة: من توسل بالنبي فقد كفر..

وكان أخوه الشيخ سليمان ينكر عليه إنكارا شديدا في كل ما يفعله أو يأمر به ولم يتبعه في شيء مما ابتدعه..

وقال له أخوه سليمان يوما

كم أركان الإسلام يا محمد..؟

فقال خمسة.. فقال: بل أنت جعلتها ستة، السادس من لم يتبعك فليس بمسلم، هذا ركن سادس عندك للإسلام..

وقال رجل آخر يوما لمحمد بن عبد الوهاب: كم يعتق ا كل ليلة في رمضان؟

فقال له يعتق في كل ليلة مائة ألف وفي آخر ليلة يعتق مثل ما أعتق في الشهر كله..

فقال له: لم يبلغ من تبعك عشر عشر ما ذكرت فمن هؤلاء المسلمون الذين يعتقهم ا تعالى وقد حصرت المسلمين فيك وفيمن تبعك.

فبهت الذي كفر..

ولما طال النزاع بينه وبين أخيه خاف أخوه أن يأمر بقتله فارتحل إلى المدينة وألف رسالة في الرد عليه وأرسلها له فلم ينته.

وقال له رجل مرة وكان رئيسا على قبيلة لا يقدر أن يسطو به: ما تقول إذا أخبرك رجل صادق ذو دين وأمانة وأنت تعرف صدقه بأن قوما كثيرين قصدوك وهم وراء الجبل الفلاني فأرسلت ألف خيال ينظرون القوم الذين وراء الجبل فلم يجدوا للقوم أثرا ولا أحد منهم جاء تلك الأرض أصلاً تصدق الألف أم الواحد الصادق عندك؟

فقال: أصدق الألف.

فقال له: إذن جميع المسلمين من العلماء الأحياء والأموات في كتبهم يكذبون ما أتيت به ويزيفونه فنصدقهم ونكذبك.

فلم يعرف جوابا لذاك.

وقال له رجل آخر: هذا الدين الذي جئت به متصل أو منفصل؟

فقال له: حتى مشايخي ومشايخهم إلى ستمائة سنة كلهم مشركون.

فقال له الرجل: إذن دينك منفصل لا متصل فعمن أخذته؟

فقال: وحي إلهام كالخضر..

فقال: إذن ليس ذلك محصورا فيك، كل أحد يمكنه أن يدعي وحي الإلهام الذي تدعيه.

ثم قال له: إن التوسل مجمع عليه عند أهل السنة حتى ابن تيمية فإنه ذكر فيه وجهين ولم يذكر أن فاعله يكفر، حتى الرافضة والخوارج والمبتدعة كافة فإنهم قائلون بصحة التوسل به (ص) فلا وجه لك في التكفير أصلاً.

فقال محمد بن عبد الوهاب إن عمر استسقى بالعباس فلم لم يستسق بالنبي (ص)؟ ومقصد محمد بن عبد الوهاب بذلك أن العباس كان حيا وأن النبي (ص) ميت فلا يستسقى به.

فقال له ذلك الرجل: هذا حجة عليك فإن استسقاء عمر بالعباس إنما كان لإعلام الناس صحة التوسل بغير النبي (ص).

وكيف تحتج باستسقاء عمر بالعباس وعمر هو الذي روى حديث توسل آدم بالنبي (ص) قبل أن يخلق، فالتوسل بالنبي (ص) كان معلوما عند عمر وغيره وإنما أراد عمر أن يبين للناس ويعلمهم صحة التوسل بغير النبي (ص)..

فبهت وتحير وبقي على عماوته..

ومن قبائحه الشنيعة أنه منع الناس من زيارة قبر النبي (ص) فبعد منعه خرج أناس من الإحساء وزاروا النبي (ص) وبلغه خبرهم فلما رجعوا مروا عليه في الدرعية فأمر بحلق لحاهم ثم أركبهم مقلوبين من الدرعية إلى الإحساء..

وبلغه مرة أن جماعة من الذين لم يتابعوه من الآفاق البعيدة قصدوا الزيارة والحج وعبروا على الدرعية فسمعه

بعضهم يقول لمن تبعه خلوا المشركين يسيرون طريق المدينة والمسلمين يعني جماعته يخلفون معنا..

والحاصل أنه لبس على الأغبياء ببعض الأشياء التي توهمهم بإقامة الدين وذلك مثل أمره للبوادي بإقامة الصلاة والجماعة، ومنعهم من النهب ومن بعض الفواحش الظاهرة كالزنا واللواط، وكتأمين الطرق والدعوة إلى التوحيد، فصار الأغبياء الجاهلون يستحسنون حاله وحال أتباعه، ويغفلون ويذهلون عن تكفيرهم الناس منذ ستمائة سنة وعن استباحتهم أموالهم ودمائهم وانتهاكهم حرمة النبي (ص) بارتكابهم أنواع التحقير له ولمن أحبه، وغير ذلك من قبائحهم التي ابتدعوها وكفروا الأمة بها.

وقد اعتنى كثير من العلماء من أهل المذاهب الأربعة بالرد عليهم في كتب مبسوطة عملاً بقول النبي (ص) إذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة ا والملائكة والناس أجمعين.

وبقوله (ص): ما ظهر أهل بدعة إلا أظهر ا فيهم حجته على لسان من شاء من خلقه. فلذلك انتدب للرد عليه علماء المشرق والمغرب من أهل المذاهب الأربعة وسألوه

عن مسائل يعرفها أقل طلبة العلم فلم يقدر على الجواب عنها.

فمن ألف في الرد عليه العلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق فإنه ألف كتابا في الرد عليه سماه (تهكم المقادين بمدعي تجديد الدين) ورد عليه في كل مسألة من مسائله التي ابتدعها وسأله عن أشياء تتعلق بالعلوم الشرعية والأدبية بسؤالات كتبها وأرسلها له فعجز عن الجواب عن أقلها فضلاً عن أجلها.

فمن جملة ما سأله عنه قوله أسألك عن قوله تعالى (والعاديات ضبحا) إلى آخر السورة التي هي من قصار المفصل كم فيها من حقيقة شرعية وحقيقة لغوية وحقيقة عرفية، وكم منها من مجاز مرسل ومجاز مركب واستعارة حقيقية واستعارة وفاقية واستعارة تبعية واستعارة مطلقة واستعارة مجردة واستعارة مرشحة؟

وأين موضع الترشيح أو التجريد، والاستعارة بالكناية والاستعارة التخيلية وما فيها من التشبيه الملفوف والمفروق والمفرد والمركب، وما فيها من المجمل والمفصل، وما فيها من الإيجاز والإطناب والمساواة، والإسناد الحقيقي والإسناد

المجازي المسمى بالمجاز الحكمي والعقلي، وأي موضع فيها وضع المضمر موضع المظهر وبالعكس، وأين موضع ضمير الشأن، وموضع الالتفات، وموضع الفصل والوصل، وكمال الاتصال وكمال الانقطاع، والجامع بين جملتين متعاطفتين، ومحل تناسب الجمل ووجه التناسب ووجه كماله في الحسن والبلاغة، وما فيها من إيجاز قصر وإيجاز حذف، وما فيها من احتراس وتتميم، وبين لنا موضع كل ما ذكر وغير ذلك من وجوه الإعجاز، ومن طرق التحدي التي اشتملت عليه هذه السورة مما هو منصوص على جميعه في كتب العلماء..؟

فلم يقدر محمد بن عبد الوهاب على الجواب عن شيء مما سأله عنه الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق جزاه ا خيرا..

وقد أخبر النبي (ص) عن هؤلاء الخوارج في أحاديث كثيرة فكانت تلك الأحاديث من أعلام نبوته حيث كانت من الإخبار بالغيب، وتلك الأحاديث صحيحة بعضها في الصحيحين وبعضها في غيرهما..

فمنها قوله (ص): ((الفتنة من ههنا الفتنة من ههنا)) وأشار إلى المشرق..

وقوله (ص): ((يخرج ناس من قبل المشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه (يعني موضع الوتر) سيماهم التحليق))..

وقوله (ص): ((سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل، يقرءون القرآن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، لا يرجعون حتى يعود السهم إلى فوقه، هم شر الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه، يدعون إلى كتاب ا وليسوا منه في شيء، من قتلهم كان أولى با منهم، سيماهم التحليق))

وقوله (ص): ((سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون قول خير البرية يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية هم شر الخلق والخليقة)).

وقوله (ص): ((يخرج أناس من أمتي سيماهم التحليق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، هم شر الخلق والخليقة)).

وقوله (ص): ((يخرج ناس من المشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يعود السهم إلى فوقه، هم شر الخلق والخليفة طوبى لمن قتلهم أو قتلوه، يدعون إلى كتاب ا وليسوا منه في شيء، من قتلهم كان أولى با منهم، سيماهم التحليق)).

وقوله (ص): ((سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون قول خير البرية يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجر لمن قتلهم عند ا يوم القيامة)).

وقوله (ص): ((أناس من أمتي سيماهم التحليق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية هم شر الخلق والخليقة)).

وقوله (ص): ((يخرج ناس من المشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه، سيماهم التحليق.

وقوله (ص): ((رأس الكفر نحو المشرق والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل)).

وقوله (ص): ((من ههنا جاءت الفتن وأشار نحو المشرق)).

وقوله (ص): ((غلاظ القلوب والجفاء بالمشرق والإيمان في أهل الحجاز)).

وقوله (ص): ((اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا)) قالوا يا رسول ا وفي نجدنا، قال: ((في الثالثة هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان)).

وقوله (ص): ((يخرج ناس من المشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون آخرهم مع المسيح الدجال)). [٩]

---

[9] انظر مسلم، كتاب الزكاة. باب ذكر الخوارج وصفاتهم والتحريض على قتلهم، والبخاري، وكتب السنن..

وفي قوله (ص) سيماهم التحليق تنصيص على هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لمحمد بن عبد الوهاب فيما أبدعه؛ لأنهم كانوا يأمرون من تبعهم أن يحلق رأسه لا يتركونه يفارق مجلسهم إذا تبعهم حتى يحلقوا رأسه، ولم يقع مثل ذلك قط من أحد من الفرق الضالة التي مضت قبلهم أن يلتزموا مثل ذلك، فالحديث صريح فيهم..

وكان السيد عبد الرحمن الأهدل مفتي زبيد يقول لا يحتاج التأليف في الرد على ابن عبد الوهاب بل يكفي في الرد عليه قوله (ص) سيماهم التحليق، فإنه لم يفعله أحد من المبتدعة.

وكان محمد بن عبد الوهاب يأمر أيضا بحلق رءوس النساء اللاتي يتبعنه فأقامت عليه الحجة مرة امرأة دخلت في دينه وجددت إسلامها على زعمه فأمر بحلق رأسها..

فقالت له: لم تأمر بحلق الرأس للرجال فلو أمرتهم بحلق اللحى لساغ ذلك أن تأمر بحلق رءوس النساء لأن شعر الرأس للنساء بمنزلة اللحية للرجال.

فبهت الذي كفر ولم يجد لها جوابا لكنه إنما فعل ذلك ليصدق عليه وعلى من اتبعه قوله (ص) سيماهم التحليق، فإن المتبادر منه حلق الرأس فقد صدق (ص) فيما قال.

وقوله (ص) حين أشار إلى المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان جاء في رواية قرنا الشيطان بصيغة التثنية.

قال بعض العلماء المراد من قرني الشيطان مسيلمة الكذاب ومحمد بن عبد الوهاب..

وجاء في بعض الروايات وبها يعني نجد الداء العضال..

قال بعض الشراح وهو الهلاك.

وفي بعض التواريخ بعد ذكر قتال بني حنيفة قال ويخرج في آخر الزمان في بلاد مسيلمة رجل يغير دين الإسلام..

وجاء في بعض الأحاديث التي فيها ذكر الفتن قول (ص) منها فتنة عظيمة تكون في أمتي لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته تتصل إلى جميع العرب، قتلاها في النار واللسان فيها أشد من وقع السيف..

وفي رواية ستكون فتنة صماء بكماء عمياء؛ يعني تعمي بصائر الناس فيها فلا يرون مخرجا ويصمون عن استماع الحق من استشرف لها استشرفت له..

وفي رواية: سيظهر من نجد شيطان تتزلزل جزيرة العرب من فتنته.. (١٠)

وذكر العلامة السيد علوي بن أحمد بن حسن بن القطب سيدي عبد ا بن علوي الحداد في كتابه الذي ألفه في الرد على ابن عبد الوهاب المسمى (جلاء الظلام في الرد على النجدي الذي أضل العوام) من جملة الأحاديث التي ذكرها في الكتاب المذكور حديثًا مرويا عن العباس بن عبد المطلب عن النبي (ص): سيخرج في ثاني عشر قرنًا في وادي بني حنيفة رجل كهيئة الثور لا يزال يلعق براطمه، يكثر في زمانه الهرج والمرج، يستحلون أموال المسلمين ويتخذونها بينهم متجرا، ويستحلون دماء المسلمين ويتخذونها بينهم مفخرا، وهي فتنة يعتز فيها الأرذلون والسفل تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلاب بصاحبه.

---

[10]) انظر: البخاري، كتاب الفتن وكتاب التوحيد وكتب السنن الأخرى..

ولهذا الحديث شواهد تقوي معناه وإن لم يعرف من خرجه..

ثم قال السيد المذكور في الكتاب الذي مر ذكره وأصرح من ذلك أن هذا المغرور محمد بن عبد الوهاب من تميم فيحتمل أنه من عقب ذي الخويصرة التميمي الذي جاء فيه حديث البخاري عن أبي سعيد الخدري أن النبي (ص) قال: ((إن من ضئضئ هذا أو في عقب هذا قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)).

فكان هذا الخارجي يقتل أهل الإسلام ويدع أهل الأوثان،

ولما قتل علي بن أبي طالب الخوارج قال رجل الحمد الذي أبادهم وأراحنا منهم.

فقال علي: كلا والذي نفسي بيده إن منهم لمن هو في أصلاب الرجال لم تحمله النساء، وليكونن آخرهم مع المسيح الدجال.

وجاء في حديث عن أبي بكر ذكر فيه بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب وقال فيه إن واديهم لا يزال وادي فتن إلى

آخر الدهر، ولا يزال الدين في بلية من كذابهم إلى يوم القيامة.

وفي رواية: ويل لليمامة ويل لا فراق له..

وفي حديث ذكره في مشكاة المصابيح: سيكون في آخر الزمان قوم يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنوكم..

وأنزل ا في بني تميم **إن الذين ينادونك من رواء الحجرات أكثرهم لا يعقلون** (١١)

وأنزل ا فيهم أيضا **لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي** (١٢)

قال السيد علوي المذكور آنفًا إن الذي ورد في بني حنيفة وفي ذم بني تميم ووائل شيء كثير، ويكفيك أن أغلب الخوارج وأكثرهم منهم، وأن الطاغية بن عبد الوهاب من تميم وأن رئيس الفرقة الباغية عبد العزيز من وائل..

---

[11]) سورة الحجرات / ٤..

[12]) سورة الحجرات / ٢..

وجاء عنه (ص) أنه قال: ((كنت في مبدأ الرسالة أعرض نفسي على القبائل في كل موسم ولم يجبني أحد جوابا أقبح ولا أخبث من رد بني حنيفة))..

قال السيد علوي الحداد لما وصلت الطائف لزيارة حبر الأمة عبد ا بن عباس اجتمعت بالعلامة الشيخ طاهر سنبل الحنفي ابن العلامة الشيخ محمد سنبل الشافعي فأخبرني أنه ألف كتابا في الرد على هذه الطائفة سماه (الانتصار للأولياء الأبرار).

وقال لي: لعل ا ينفع به من لم تدخل بدعة النجدي في قلبه، وأما من دخلت في قلبه فلا يرجى فلاحه، لحديث البخاري: يمرقون من الدين ثم لا يعودون فيه..

قال السيد علوي الحداد: وأما ما نقل عن العلامة الحفظي ساكن الحجاز أنه استصوب بعض أفعال النجدي من جمعه البدو على الصلاة وترك النهب وإزالة بعض الفواحش الظاهرة كالزنا واللواط، ومن تأمينه الطرق ودعوته إلى التوحيد، فهو غلط حيث حسن للناس فعله ولم يطلع على ما ذكرناه من منكراته وتكفير الأمة من ستمائة سنة، وإحراقه الكتب الكثيرة، وقتله لكثير من العلماء وخواص الناس

وعوامهم، واستباحته دماءهم وأموالهم وإظهار التجسيم للباري سبحانه وتعالى، وعقده الدروس لذلك وتنقيصه للرسل (ص) وللأولياء ونبشه قبورهم.

وأمر في الإحساء أن تجعل بعض قبور الأولياء محلا لقضاء الحاجة، ومنع الناس من قراءة دلائل الخيرات ومن الرواتب والأذكار ومن قراءة مولد النبي (ص) ومن الصلاة عليه في المنابر بعد الأذان، وقتل من فعل ذلك.

وكان يعرض لبعض الغوغاء الطغام بدعوات النبوة ويفهمهم ذلك من فحوى الكلام، ومنع الدعاء بعد الصلاة، وكان يقسم الزكاة على هواه، وكان يعتقد أن الإسلام منحصر فيه وفيمن تبعه، وأن الخلق كلهم مشركون، وكان يصرح في مجالسه وخطبه بكفر المتوسل بالأنبياء والملائكة والأولياء، بل ويزعم أن من قال لأحد مولانا أو سيدنا فهو كافر ولا يلتفت إلى قول ا تعالى في سيدنا يحيى عليه السلام (وسيدا) [١٣]

---

[13]) نص الآية هو: فَنَادتْه الْملاَئِكَةُ وهو قَائِم يصلي ِفي الْمِحرابِ َأن ا َ يبشرك ِبيحيى مصدقًا ِبكَلِمةٍ من ا ِ وسيدا وحصورا ونَِبيا من الصالِحِين آل عمران/٣٩

ولا إلى قول النبي (ص) للأنصار قوموا إلى سيدكم يعني بني سعد بن معاذ[١٤]، ويمنع من زيارة النبي (ص) ويجعله كغيره من الأموات، وينكر علم النحو واللغة والفقه والتدريس لهذه العلوم ويقول إن ذلك كله بدعة..

ثم قال السيد علوي الحداد: والحاصل أن المحقق عندنا من أقواله وأفعاله ما يوجب خروجه عن القواعد الإسلامية لاستحلاله أمورا مجمعا على تحريمها معلومة من الدين بالضرورة بلا تأويل سائغ مع تنقيصه الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، وتنقيصهم تعمدا كفر بالإجماع عند الأئمة الأربعة. أ هـ..

ولما أراد ا أن يضل محمد بن عبد الوهاب ويضل به خلقًا كثيرا سلط عليه الشيطان فزين له ما ابتدعه من العقائد الزائغة، فصار ينتقل في قرى نجد من قرية إلى قرية ويلقي إليهم تلك العقائد شيئًا فشيئًا مزخرفة الألفاظ، مظهرا لهم أنه يريد التوحيد الصحيح، والتبري من الشرك، فيصدقه الجاهلون وينتبه لتلبيساته العالمون.

---

[14]) سعد بن معاذ سيد الأوس له الكثير من الفضائل، والحديث رواه أحمد في مسنده والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

وما زال كذلك يحبه قوم ويكرهه آخرون فآواه أهل الدرعية وظن بعض منهم أنه رسول لكافة البرية فصنف لهم رسالة سماها: (كشف الشبهات عن خالق الأرض والسماوات) كفر فيها جميع المسلمين وزعم أن الناس كفار منذ ستمائة سنة، وحمل الآيات التي نزلت في الكفار من قريش على أتقياء الأمة..

وكان ممن تبعه وقبل منه كل ما يقول محمد بن سعود واتخذه وسيلة لاتساع الملك وانقياد الأعراب له، فصار يدعوهم إلى الدين، وأثبت في قلوبهم أن جميع من هو تحت السبع الطباق مشرك على الإطلاق ومن قتل مشرك فله الجنة، فتابعوه وصارت نفوسهم بهذا الاعتقاد مطمئنة، فكان محمد بن سعود يمتثل ما يأمره به، فإذا أمره بقتل إنسان أو أخذ ماله سارع إلى ذلك.

وكان محمد بن عبد الوهاب معهم كالنبي في أمته لا يتركون شيئًا مما يقوله ولا يفعلون شيئًا إلا بأمره ويعظمونه غاية التعظيم ويبجلونه غاية التبجيل، ومازال يطيعه حي بعد حي من أحياء العرب وقبائلها فاتسع ملك محمد بن سعود وملك أولاده بعده حتى ملكوا جزيرة العرب.

وإذا أراد أن يغزو بلدة من البلدان كتب كتابا بقدر الخنصر فتجيبه العربان وتلبي دعوته من كل مكان، ويتحملون على أنفسهم كل ما يحتاجون إليه من مأكل ومشرب وملبس ومركب ولا يكلفونه بشيء، وإذا نهبوا شيئًا من الناس يدفعون له الخمس ويأخذون الأربعة الأخماس ويسيرون معه أينما يسير لا يستطيعون مخالفته في نقير ولا قطمير، فإذا ملك قبيلة من العرب سلطها على من دنا منها واقترب وسلط الأخرى على ما بعدها حتى يبدد شملها، فملك أولاً الشرق بأكمله ثم إقليم الإحساء والبحرين وعمان وقرب ملكه من بغداد والبصرة..

هذا حده من الشمال ثم رجع إلى الجنوب فملك الحرار بأسرهم الخيوف ذوات النخيل، وملك الحريبة والفرع وجهينة، ثم ملك جميع ما بين مدينة النبي (ص) والشام حتى قرب ملكه من الشام وحلب، وملك العربان الذين بين الشام وبغداد، وملك عربان المشرق والحجاز والقبائل التي حول الطائف، ثم ملك الطائف، وكذا القبائل التي حول مكة ثم دخل مكة بالصلح..

وكانت الحروب بينه وبين سيدنا الشريف غالب من سنة خمس إلى سنة عشرين بعد المائتين والألف إلى أن عجز مولانا الشريف غالب عن حربه..

ولم يبق أحد إلا صار من حزبه، فدخل مكة بالصلح سنة عشرين واستمر فيها إلى غاية سنة سبع وعشرين حين جهزت الدولة العليا عساكرها المنصورة ووجهت الأمر إلى الوزير المفخم محمد علي باشا صاحب مصر فأتاه بجيوش من العساكر المنصورة، فطهر الأرض منه ومن أتباعه، ثم جهز ابنه إبراهيم باشا فوصل بجيوشه إلى الدرعية سنة ثلاث وثلاثين بعد المائتين والألف فأفنى وأباد من بقى منهم، وكان تاريخ خروجهم من مكة سنة ألف ومائتين وسبع وعشرين..

- ذكر الشبه التي تمسك بها الوهابية:

ينبغي أولاً أن نذكر الشبهات التي تمسك بها في إضلال العباد ثم نذكر الرد عليه ببيان أن كل ما تمسك به زور وافتراء وتلبيس على عوام الموحدين..

فمن شبهاته التي تمسك بها زعمه أن الناس مشركون في توسلهم بالنبي (ص) وبغيره من الأنبياء والأولياء

والصالحين وفي زيارتهم قبره (ص)، وندائهم له بقوله يا رسول ا نسألك الشفاعة. وزعمه أن ذلك كله إشراك.

وحمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على الخواص والعوام من المؤمنين كقوله تعالى: **فلا تدعو مع ا أحدا** .(١٥)

وقوله تعالى: **ومن أضل ممن يدعو من دون ا من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** (١٦)

وقوله تعالى: **فلا تدع مع ا إلها آخر فتكون من المعذبين** (١٧)

وقوله تعالى: **ولا تدع من دون ا ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين** (١٨)

---

[15]) سورة الجن / ١٨.

[16]) سورة الأحقاف / ٥.

[17]) سورة الشعراء / ٢١٣.

وقوله تعالى: **له دعوةُ الْحق والَّذِين يدعون مِن دونِهِ لاَ يستَجِيبون لَهم بِشَيءٍ إِلا كَباسِطِ كَفيهِ إِلَى الْماءِ لِيبلُغَ فَاه وما هو بِبالِغِهِ وما دعاء الْكَافِرِين إِلا فِي ضلاَلٍ** (١٩)

وقوله تعالى: **والَّذِين تَدعون مِن دونِهِ ما يملِكُون مِن قِطْمِيرٍ إِن تَدعوهم لاَ يسمعوا دعاءكُم ولَو سمِعوا ما استَجابوا لَكُم ويوم الْقِيامةِ يكْفُرون بِشِركِكُم ولاَ ينَبئُك مِثْلُ خَبِيرٍ** (٢٠)

وقوله تعالى: **قُلِ ادعوا الَّذِين زعمتُم من دونِهِ فَلاَ يملِكُون كَشْفَ الضر عنكُم ولاَ تَحوِيلاً أُولَئِك الَّذِين يدعون يبتَغُون إِلَى ربهِم الْوسِيلَةَ أَيهم أَقْرب ويرجون رحمتَه ويخَافُون عذَابه إِن عذَاب ربك كَان محذُورا** (٢١)

وأمثال هذه الآيات كثير في القرآن كلها حملها على الموحدين.

---

[18] سورة يونس / ١٠٦.

[19] سورة الرعد / ١٤.

[20] سورة فاطر / ١٣: ١٤.

[21] سورة الإسراء / ٥٦: ٥٧.

قال محمد بن عبد الوهاب: عن من استغاث أو توسل بالنبي (ص) أو بغيره من الأنبياء والأولياء الصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فإنه يكون مثل هؤلاء المشركين ويكون داخلاً في عموم هذه الآيات، وجعل زيارة قبر النبي (ص) أيضا مثل ذلك.

وقال في قوله تعالى حكاية عن المشركين الذين يقولون **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى ا زلفى** [٢٢] فإن المشركين ما اعتقدوا في الأصنام أنها تخلق شيئًا بل يعتقدون أن الخالق هو ا تعالى بدليل قوله تعالى: **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن ا** [٢٣]

وقوله تعالى: **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن ا** [٢٤]

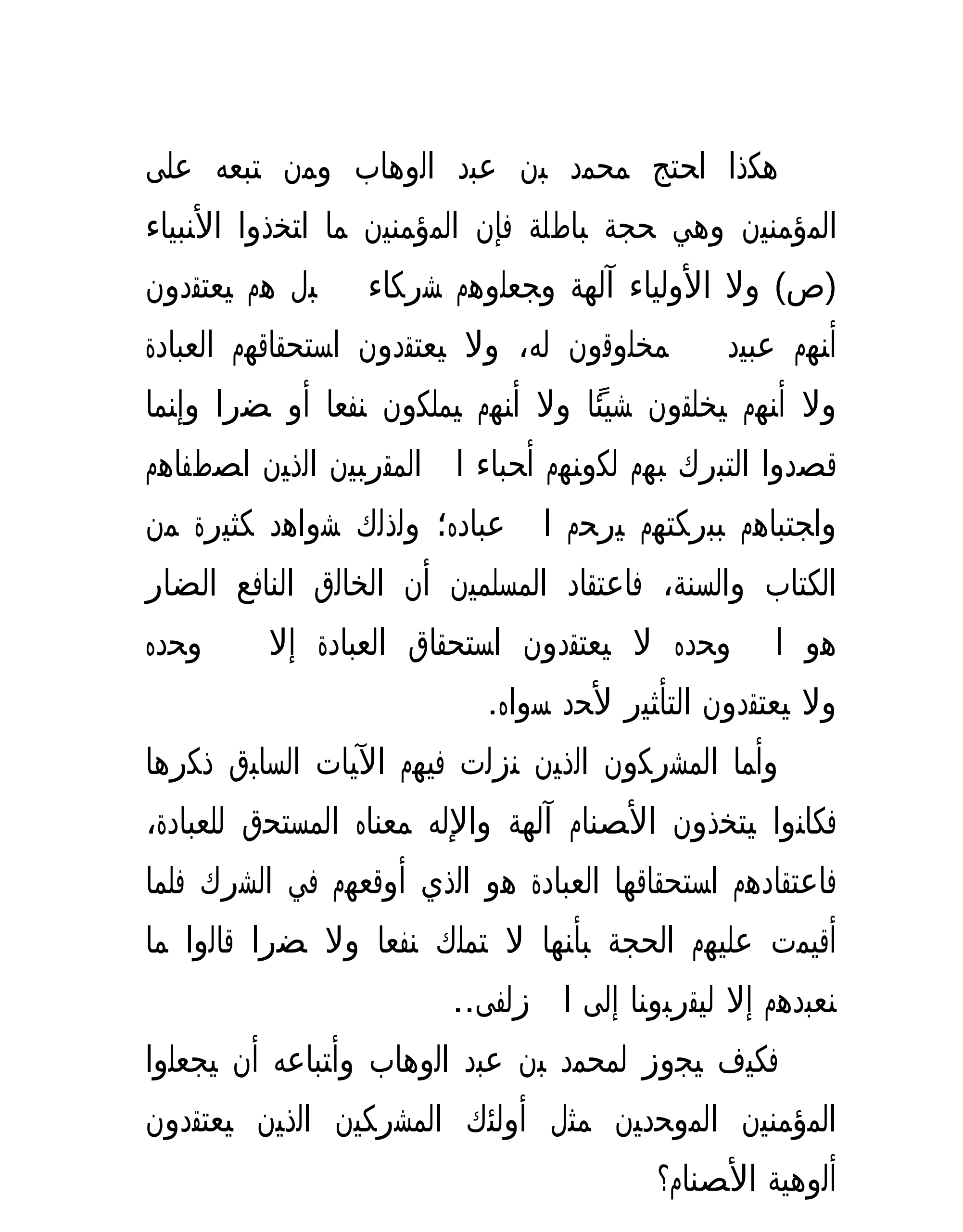
فما حكم ا عليهم بالكفر والإشراك إلا لقولهم ليقربونا إلى ا زلفى فهؤلاء مثلهم.

---

[22]) سورة الزمر / ٣

[23]) سورة الزخرف / ٨٧

[24]) سورة لقمان / ٢٥ وسورة الزمر / ٣٨.



هكذا احتج محمد بن عبد الوهاب ومن تبعه على المؤمنين وهي حجة باطلة فإن المؤمنين ما اتخذوا الأنبياء (ص) ولا الأولياء آلهة وجعلوهم شركاء بل هم يعتقدون أنهم عبيد مخلوقون له، ولا يعتقدون استحقاقهم العبادة ولا أنهم يخلقون شيئًا ولا أنهم يملكون نفعا أو ضرا وإنما قصدوا التبرك بهم لكونهم أحباء ا المقربين الذين اصطفاهم واجتباهم ببركتهم يرحم ا عباده؛ ولذلك شواهد كثيرة من الكتاب والسنة، فاعتقاد المسلمين أن الخالق النافع الضار هو ا وحده لا يعتقدون استحقاق العبادة إلا وحده ولا يعتقدون التأثير لأحد سواه.

وأما المشركون الذين نزلت فيهم الآيات السابق ذكرها فكانوا يتخذون الأصنام آلهة والإله معناه المستحق للعبادة، فاعتقادهم استحقاقها العبادة هو الذي أوقعهم في الشرك فلما أقيمت عليهم الحجة بأنها لا تملك نفعا ولا ضرا قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى ا زلفى..

فكيف يجوز لمحمد بن عبد الوهاب وأتباعه أن يجعلوا المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين الذين يعتقدون ألوهية الأصنام؟

إذا علمت هذا تعلم أن جميع الآيات المتقدم ذكرها وما ماثلها من الآيات خاص بالكفار المشركين ولا يدخل فيها أحد من المؤمنين؛ لأنهم لا يعتقدون الوهبة غير ا تعالى ولا يعتقدون استحقاق العبادة لغيره..

وقد تقدم حديث البخاري عن ابن عمر في وصف الخوارج أنهم انطلقوا إلى آيات في الكفار فحملوها على المؤمنين، فهذا الوصف صادق على ابن عبد الوهاب وأتباعه فيما صنعوه.

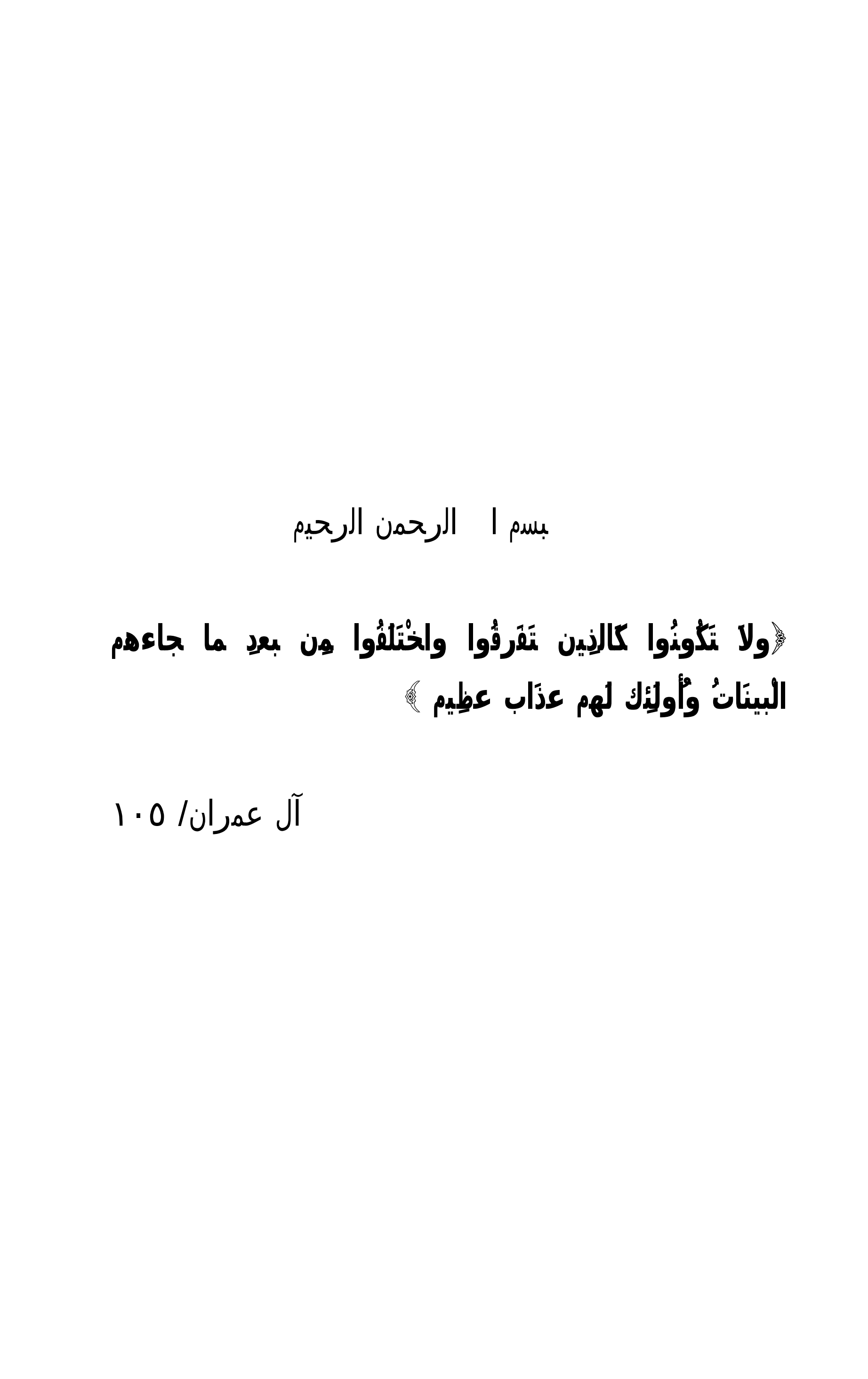
ولو كان شيء مما صنعه المؤمنون من التوسل إشراكًا ما كان يصدر من النبي (ص): اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك.

وهذا توسل صريح لا شك فيه، وكان يعلم هذا الدعاء أصحابه ويأمرهم بالإتيان به..

الرسالة الثانية

الرد على الوهابية

للشيخ محمد جواد البلاغي



بسم ا الرحمن الرحيم

﴿ولاَ تَكُونُوا كَالَّذِين تَفَرَقُوا واخْتَلَفُوا مِن بعدِ ما جاءهم الْبينَاتُ وأُولَئِك لَهم عذَاب عظِيم ﴾

آل عمران/ ١٠٥

تمهيد

الحمد   رب العالمين، والصلاة على محمد سيد الأولّين والآخرين، (ص)، وعلى آله أجمعين وبعد،

فقد عثرت في بعض الجرائد[٢٥] على سؤال نصه هذا:

"غادر مكة في شهر رمضان الماضي الشيخ عبد ا   بن بليهد، قاضي قضاة الوهابيين في الحجاز قاصدا المدينة المنورة، وقد تلقّت جريدة ُأم القرى من مكاتبها في المدينة أن الشيخ ابن بليهد اجتمع بعلماء المدينة وباحثهم في أمور كثيرة، ثم وجه إليهم السؤال الآتي: ما قول علماء المدينة المنورة – في البناء على القبور واتخاذها مساجد، هل هو جائز أم لا؟

وإذا كان غير جائز، بل ممنوع منهي عنه نهيا شديدا، فهل يجب هدمها ومنع الصلاة عندها أم لا؟

وإذا كان البناء في مسبلة – كالبقيع – وهو مانع من الانتفاع بالمقدار المبنّى عليه، فهل هو غضب يجب رفعه، لما فيه من ظلم المستحقّين ومنعهم استحقاقهم، أم لا؟

---

[25]) هي جريدة "أم القرى" العدد ٦٩، بتاريخ ١٧ شوال ١٣٤٤ هـ .

وما يفعله الجهال عند هذه الضرائح، من التمسح بها، ودعائها مع ا ، والتقرب بالذبح والنذر لها، وإيقاد السرج عليها، هل هو جائز أم لا؟

وما يفعل عند حجرة النبي (ص)، من التوجه إليها عند الدعاء وغيره، والطواف بها وتقبيلها والتمسح بها، وكذلك ما يفعل في المسجد الشريف، من الترحيم والتذكير بين الأذان والإقامة وقبل الفجر ويوم الجمعة، هل هو مشروع أم لا؟

أفتونا مأجورين وبينوا لنا الأدلّة المستند إليها، لازلتم ملجأ للمستفيدين"

وهذا نص الجواب:

" أما البناء على القبور فهو ممنوع إجماعا، لصحة الأحاديث الواردة في منعه، وبهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه، مستندين على ذلك بحديث علي أنه قال لأبي الهياج: "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول ا (ص)، أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرا مشرقًا إلا سويته)[٢٦]

---

[26]) رواه مسلم وأصحاب السنن..

وأما اتّخاذ القبور مساجد والصلاة فيها فممنوع مطلقًا، وإيقاد السرج عليه ممنوع أيضا، لحديث ابن عباس: (لعن رسول ا زائرات القبور، والمتّخذين عليها المساجد والسرج) رواه أهل السنن[٢٧].

وأما ما يفعله الجهال عند الضرائح، من التمسح بها، والتقرب إليها بالذبائح والنذور، ودعاء أهلها مع ا ، فهو حرام، ممنوع شرعا، لا يجوز فعله أصلاً.

وأما التوجه إلى حجرة النبي (ص) عند الدعاء، فالأولى منعه، كما هو معروف من فقرات كتب المذهب، ولأن أفضل الجهات جهة القبلة.

وأما الطواف بها والتمسح بها وتقبيلها، فهو ممنوع مطلقا.

وأما ما يفعل من التذكير والترحيم والتسليم في الأوقات المذكورة، فهو محدث.

هذا ما وصل إليه علمنا السقيم".

ويلي ذلك توقيع (١٥) عالما.

---

[27]) سنن أبي داود ٣ / ٢١٨ ح ٣٢٣٦، سنن النسائي ٤/ ٩٥.

وقد علّقت جريدة "أم القرى" على هذه الفتوى بمقالة افتتاحية قائلة:

"إن الحكومة ستسير في تنفيذ أحكام الدين، رضي الناس أم كرهوا"! انتهى.

واطّلعتُ أيضا على مقالة في بعض الجرائد المصرية(٢٨)، وهذا نصها:

" تغلّب الوهابيون على الحجاز، فأوفدت حكومة إيران وفدا – على رأسه حضرات أصحاب السعادة: ميرزا غفّار خان جلال الساطنة، وزيرها المفوض في مصر، وميرزا حبيب ا خان هويدا عين الملك، قنصلها الجنرال(٢٩) بالشام – إلى الحجاز، ليتبينوا وجه الحقيقة فيما أُذيع على العالم الإسلامي أجمع من فظائع الوهابيين في البلاد المقدسة، وأتم هذا الوفد الرسمي مهمته، ورفع تقريره إلى حكومته.

ولما تجددت نشر الإشاعات بأن الوهابيين هم هم.

---

28) هي جريدة "المقطم" في عددها الصادر في ٢٢ شوال سنة ١٣٤٤هـ .

29) أي: القنصل العام.

وأن التطور الذي غَشِى العالَم أجمع لم يصلح من فساد تطرفهم شيئًا.

وأنهم هدموا القباب والمزارات المباركة المنبثّة في أرجاء ذلك الوادي المقدس.

وأنّهم ضيقوا الحرية المذهبية الإسلامية، نشرا لمذهبهم، وتوسيعا لنطاق نحلتهم، في الوقت الذي تقوم فيه جميع حكومات العالَم على رعاية الحريات المذهبية.

أصدرت[٣٠] أَمرها بوقف التصريح بالسفر للحجاز، حماية لرعاياها، وحفظًا لهم من قصد بلاد لم يعرفَ تماما كُنه الحكم فيها.

وعادت فأوفدت سعادة ميرزا حبيب ا خان هودا، قنصلها الجنرال[٣١] في الشام ثانية للتحقّق من مبلغ صدق تلك الإشاعات، فإذا بها صحيحة في جملتها!

لم تمنع الحكومة الإيرانية رعاياها من السفر إلى الحجاز لأن حكومته وهابية فحسب، ولكّن الإيرانيين أَلفوا في الحج والزيارة شئونًا يعتقدون أنها من مستلزمات أداء ذلك

---

30) جواب "لَما" المتقدمة.

31) أي: القنصل العام.

الركن، ويشاركهم في ذلك جمهور المسلمين من غير الوهابيين، كزيارة مشاهد أهل البيت، والاستمداد من نفحاتهم وزيارة مسجد منسوب للإمام علي عليه السلام.

وقد قضى الوهابي على تلك الآثار جملة، وقضى رجاله – وكل فرد منهم حكومة قائمة – على الحرية المذهبية.

فمن قرأ الفاتحة على مشهد من المشاهد، جلد.

ومن دخن سيجارة أو نرجيلة، أُهين وضرب وزج في السجن، في الوقت الذي تحصل فيه إدارة الجمارك الحجازية رسوما على واردات البلاد من الدخان والتمباك.

ومن استنجد بالرسول المجتبى عليه (ص) بقوله: (يا رسول ا) عد مشركًا.

ومن أقسم بالنبي أو بآله، عد خارجا عن سياج الملة.

وما حادثة السيد أحمد الشريف السنوسي[٣٢] – وهو علم من أعلام المسلمين المجاهدين – ببعيدة إذ كان وقوفه

---

[32] هو السيد أحمد الشريف بن محمد بن محمد بن علي السنوسي (١٢٨٤ – ١٣٥١ هـ) ولد وتفقه في "الجغبوب" من أعمال ليبيا، قاتل الإيطاليين في حربهم مع الدولة العثمانية سنة ١٣٣٩ هـ ، دعى إلى إسلامبول بعد عقد الصلح بين إيطاليا والعثمانيين، ثم رحل منها إلى

وقراءته الفاتحة على ضريح السيدة خديجة رضوان ا عليها، سببا كافيا في نظر الوهابيين لإخراجه من الحجاز.

كل هذا حاصل في الحجاز لا ينكره أحد، ولا يستطيع الوهابي ولا دعاتُه ولا جنوده أن يكذبوه".

انتهى ما أردنا نقله من تلك الجريدة.

من هنا رأيتُ أن أتكلّم معهم بكلمات وجيزة، جارية في نهج الإنصاف، خالية عن الجور والتعصب والاعتساف، سالكًا سبيل الرفق والاعتدال، ناكبا عن طريق الخرق والجدال، فما المقصود إلا هداية العباد، وا ولي الرشاد.

ثم إنّا نتكلم فيما طعن به الوهابيون على سائر المسلمين في ضمن فصول، وا المستعان. وأجتنب فيه عن الفحش في المقال، والطعن والوقيعة والجدال. هذا، والجرح لَما يندمل، وإن القلوب لحرى، والعيون لعبرى، على الرزية التي عمت الإسلام والمسلمين، فإنّا وإنّا إليه راجعون،

الحجاز، كان من أنبل الناس جلالة قدر وسراوة حال ورجاحة عقل، وكان على علم غزير، وقد صنف في أوقات فراغه كتبا عديدة. انظر: الأعلام ١/ ١٣٥.

ويا لها من رزية جليلة، ومصيبة فاظعة[٣٣] فادحة، وثلمة عظيمة في الإسلام أليمة فجيعة!

كُحِلَتْ بِمَنْظَرِك العيون عماية   وأجل وقْعك كُل أذنٍ تَسمع[٣٤]

وعلى الجملة:

فقد هدموا شعائر الدين، وجرحوا قلوب المسلمين، بفتوى خمسة عشر، تشهد القرائن بأنهم مجبورون مضطرون على هاتيك الفتيا!

ويشهد نفس السؤال – أيضا – بذلك، حيث إن السائل يعلِمهم الجواب في ضمن السؤال بقوله: "وإذا كان غير جائز، بل ممنوع منهي عنه نهيا شديدا"!

---

[33]) كذا في الأصل، ولعلها: "قاطعة".

[34]) من قصيدة لدعبل الخزاعى، يرثي بها سيد الشهداء الإمام أبي عبد ا الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، وقد ورد البيت باختلاف في بعض ألفاظه في الديوان المطبوع ومصادر أخرى هكذا:

كُحِلَتْ بِمَنْظَرِك العيون عماية   وأصم نَعيك كل أُذْن تَسمع

انظر ديوان دعبل. ومعجم الأدباء جـ ١١ وفيه (رزؤل) بدل "نعيك" ولم يسم قائله هنا، الحماسة البصرية ١/ ٢٠١.

ويومئ إليه – أيضا – ما في الجريدة، أنه اجتمع إليهم أولاً، وباحثهم ثانيا، ومن بعد ذلك وجه إليهم السؤال المذكور!

ولقد حدثني بعض الثقات من أهل العلم – بعد رجوعه من المدينة – عن بعض علمائها، أنه قال: إن الوهابية أوعدوني وعالمين غيري بالقتل والنهب والنفي (على مساعدتهم) [٣٥] في الجواب، فلم نفعل.

هذه المنـازلُ بِالغَميم فَنـادِها   وأسكُب سخِى العين بعد جمادِها[٣٦]

---

[35] كذا في الأصل، والصواب: "إن لم نساعدهم".

[36] مطلع للقصيدة للشريف الرضي، يرثي بها سيد الشهداء الإمام أبي عبد ا الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، في يوم عاشوراء سنة ٣٩١ هـ. انظر ديوان الشريف الرضي ٣٦٠/١.

الفصل الأول

في توحيد ا في العبادة

اعلم أن ضروريات الدين، والمتفق عليه بين جميع طبقات المسلمين، بل من أعظم أركان أصول الدين، اختصاص العبادة با رب العالمين.

فلا يستحقّها غيره، ولا يجوز إيقاعها لغيره، ومن عبد غيره فهو كافِر مشرك، سواء عبد الأصنام أو عبد أشرفَ الملائكة، أو أفضلَ الأنامِ.

وهذا لا يرتاب فيه أحد ممن عرف دين الإسلام.

وكيف يرتاب؟! وهو يقرأ في كل يوم عشر مرات: ﴿إياك نَعبد وإياك نَستَعِين﴾[٣٧]

ويقرأ:

﴿قُلْ يا أَيها الْكَافِرون.لاَ أَعبد ما تَعبدون. ولاَ أَنْتُم عابِدون ما أَعبد. ولاَ أَنَا عابِد ما عبدتم. ولاَ أَنْتُم عابِدون ما أَعبد. لَكُم دِينُكُم ولِي دِين﴾[٣٨]

---

[37] سورة الفاتحة ١: ٥

ويقرأ في سورة يوسف: ﴿**إن الحكْم إلا ـِ أَمر ألا تَعبدوا إلا إياه**﴾[٣٩]

ويقرأ في سورة النحل: ﴿**وقَالَ الذِين أَشْركُوا لَو شَاء ا ُ ما عبدنَا مِن دونِه مِن شَيءٍ نحن ولاَ آباؤُنَا ولاَ حرمنَا مِن دونِه مِن شَيءٍ كَذَلِك فَعلَ الذِين مِن قَبلِهم فَهلْ علَى الرسل إِلا الْبلاَغُ الْمبِين**﴾[٤٠]

ويقرأ في سورة التوبة: ﴿**وما أُمِروا إِلا لِيعبدوا إِلَها واحِدا لا إِلَه إِلا هو سبحانَه عما يشْرِكُون**﴾[٤١]

ويقرأ في سورة البقرة: ﴿**أَم كُنْتُم شُهداء إِذْ حضر يعقُوب الْموتُ إِذْ قَالَ لِبنِيهِ ما تَعبدون مِن بعدِي قَالُوا نَعبد إِلَهك وإِلَه آبائِك إِبراهِيم وإِسماعِيلَ وإِسحاقَ إِلَها واحِدا ونَحن لَه مسلِمون**﴾[٤٢]

---

[38]) سورة الكافرون ١٠٩: ١ – ٦.

[39]) سورة يوسف ١٢: ٤٠.

[40]) سورة النحل: ١٦: ٣٥.

[41]) سورة التوبة ٩ :٣١

[42]) سورة البقرة ٢: ١٣٣

ويقرأ في سورة الأعراف: ﴿ **وإلى عادٍ أخاهم هودا قال يا قومِ اعبدوا ا ـ ما لكم من إلهٍ غيره أفلا تتقون** ﴾(٤٣)

ويقرأ في سورة الزمر: ﴿ **والذين اتخذوا مِن دونِهِ أولياء ما نعبدهم إلا لِيقربونا إلى ا ـ زلفى إن ا ـ يحكم بينهم فِي ما هم فِيهِ يختلفون إن ا ـ لا يهدي من هو كاذب كفار** ﴾(٤٤)

ويقرأ فيها: ﴿ **ولقد أوحِي إليك وإلى الذين مِن قبلِك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن مِن الخاسرين. بل ا ـ فاعبد وكن من الشاكرين** ﴾(٤٥)

ويقرأ فيها: ﴿ **قل ا أعبد مخلصا له ديني**﴾(٤٦)

ويقرأ في سورة النساء:﴿ **واعبدوا ا ـ ولا تشركوا بِهِ شيئا** ﴾(٤٧)

---

[43] سورة الأعراف ٩: ٦٥ - ٧٠

[44] سورة الزمر ٣٩: ٣.

[45] سورة الزمر ٣٩: ٦٥ و ٦٦.

[46] سورة الزمر ٣٩: ١٤

[47] سورة النساء ٤: ٣٦.

ويقرأ في سورة هود: ﴿ **ألا تعبدوا إلا ا َ إنني لكم منه نذير وبشير** ﴾[48]

ويقرأ في سورة العنكبوت: ﴿ **يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعةٌ فإياي فاعبدون** ﴾[49]

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية، والأحاديث المتواترة[50]

لكن العبادة – كما هو المفسر في لسان المفسرين، وأهل العبية، وعلماء الإسلام-: غاية الخضوع، كالسجود، والركوع، ووضع الخد على التراب والرماد تواضعا، وأشباه ذلك، كما يفعله عباد الأصنام لأصنامهم[51].

---

48) سورة هود ١١: ٢

49) سورة العنكبوت ٢٩: ٥٦.

50) انظر ذلك في تفسير الآيات الكريمة المتقدمة – على سبيل المثال – وغيرها في مختلف التفاسير، ولاحظ كتاب "التوحيد" للشيخ الصدوق، والكافي ١/ ٥٧ – ١٢٧ كتاب التوحيد.

51) انظر ذلك – على سبيل المثال – في تفسير آية (إياك نَعبد وإياك نُستعين) في: التبيان ١/ ٣٧ – ٩٣، مجمع البيان ١/ ٢٥ – ٢٦، الصافي ١/ ٧١ – ٧٢، كنز الدقائق ١/ ٥٤ – ٥٦، نور الثقلين ١/ ١٩ – ٢٠، آلاء الرحمن ١/ ٥٦ – ٥٩، البيان: ٤٥٦ – ٤٨٣، الجامع

وأما زيارة القبور والتمسح بها وتقبيلها والتبرك بها، فليس من ذلك في شيء كما هو واضح، بل ليس فيها شيء من الخضوع فضلاً عن كونها غاية الخضوع.

مع أن مطلق الخضوع – كما عرفت – ليس بعبادة، وإلا لكان جميع الناس مشركين حتّى الوهابيين! فإنهم يخضعون للرؤساء والأمراء والكبراء بعض الخضوع، ويخضع الأبناء للآباء والخدم للمخدومين، والعبيد للموالي، وكل طبقة من طبقات الناس للتي فوقها، فيخضعون إليهم بعض الخضوع، ويتواضعون لهم بعض التواضع.

هذا، وقد قال ا عز من قائل في تعليم الحكمة: ﴿**واخْفِض لهما جناح الذل مِن الرحمةَ** ﴾[٥٢]

أتَرى ا حين أمر بالخضوع للوالدين أمر بعبادتهما؟!

ويقول سبحانه: ﴿ **لا ترفَعوا أصواتَكُم فَوقَ صوتَ النبِي ولا تَجهروا له بِالقَول..** إلى آخرها[٥٣]

لأحكام القرآن ١/ ١٤٥ جامع البيان ١/ ١٦٠، الدر المنثور ١/ ٣٧، التفسير الكبير ١/ ٢٤٢، ومادة (عبد) في : لسان العرب ٣/ ٢٧٣.

[52]) سورة الإسراء ١٧: ٢٤.

[53]) سورة الحجرات ٤٩: ٢.

أليس هذا خضوعا وتواضعا.

أترى ا سبحانه أمر بعبادة نبيه؟!

أوليس التواضع من الأخلاق الجميلة الزكّية، وهو متضمن لشيء من الخضوع لا محالة؟!

أو ترَى ا نهى أن يصنع بأنبيائه وأوليائه نظير ما أمر أن يصنع بسائر المسلمين من التواضع والخضوع؟!

وقد كان الصحابة يتواضعون للنبي صلّى ا عليه وآله وسلّم، ويخضعون له، وذلك من المسلمات بين أهل السِير والأخبار.

بل روى البخاري:

* خرج رسول ا فصلّى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، وبين يديه عنَزَة.

قال شعبة: وزاد فيه عون: عن أبيه، عن أبي جحيفة، قال: كان تمر(٥٤) من ورائها المرأة.

وقام الناس فجعلوا يأخذون يده(٥٥) فيمسحون بها وجوههم.

---

[54]) في المصدر: يمر.

[55]) في المصدر: يديه.

قال: فأخذتُ بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك"[٥٦]

- زيارة القبور:

وأما الأخبار الدالة على زيارة القبور فنذكر عدة منها، وإن كان لا حاجة إلى ذكرها لوضوح المسألة، حتّى أن الوهابيين – أيضا – غير مانعين عن أصل الزيارة.

* فروى البخاري عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم، أنّه "خرج يوما فصلّى على أهل اُحد صلاته على الميت، ثمّ انصرف إلى المنبر.." إلى آخره[٥٧]

* وروى فيه عن أنس، قال: "مر النبي صلّى الله عليه وآله وسلم بامرأة تبكي عند قبر، فقال: اتقي الله واصبري.." إلى آخره[٥٨]. ولم ينهها عن زيارة القبر.

---

[56]) البخاري ٤/ ٢٢٩.

[57]) البخاري ٢/ ١١٤، سنن أبي داود ٣/، ٢١٦ ح ٣٢٢٣ إلى كلمة "انصرف".

[58]) البخاري ٩/ ٨١ باختلاف يسير في بعض الألفاظ، وفي ٢/ ٩٣ إلى كلمة "واصبري" باختلاف يسير في بعض الألفاظ أيضا، وانظر:

* وروى الدارقطني في السنن وغيرها، والبيهقي، وغيرهما، من طريق موسى بن هلال العبدي عن عبد ا العمري، عن نافع، عن ابن عمر، قال: "قال رسول ا صلى ا عليه وآله وسلّم: من زار قبري وجبت له شفاعتي"[٥٩]

* وعن نافع، عن سالم، عن ابن عمر، مرفوعا، عن النبي صلّى ا عليه وآله وسلّم، أنّه قال: "من جاءني زائرا ليس له حاجة إلا زيارتي، كان حقًا عليّ أن أكون له شفيعا يوم القيامة"[٦٠].

الأنوار في شمائل النبي المختار ١/ ٢٠٠ ح ٢٣٩ والمصادر الأخرى التي في هامشه.

[59] سنن الدارقطني ٢/ ٢٧٨ ح ١٩٤، شعب الإيمان ٣/ ٤٩٠ ح ٤١٥٩، مجمع الزوائد ٤/ ٢، الصلات والبشر: ١٤٢، الدر المنثور ١/ ٥٦٩، كنز العمال ١٥/ ٦٥١ ح ٤٢٥٨٣، الكنى والأسماء ٢/ ٦٤، الكامل ٦/ ٢٣٥٠، وأنظر: الغدير ٥/ ٩٣ – ٩٦ ومصادره.

[60] ورد الحديث باختلاف يسير في : المعجم الكبير ١٢/ ٢٩١ ح ١٣٢٩٤، مجمع الزوائد ٤/ ٢، الصلات والبشر: ١٤٢ الدر المنثور ١/ ٥٩٦ ح ٣٤٩٢٨، وأنظر: الغدير ٥/ ٩٧ – ٩٨ح ٢ ومصادره.

* وعن ليث ومجاهد، عن (ابن) عمر، مرفوعا، قال صلى ا عليه وآله وسلم: "من حج وزار قبري بعد وفاتي، كان كمن زارني في حياتي"[٦١]

* وعن نافع، عن ابن عمر، عن النبي صلى ا عليه وآله وسلم، قال: "من زارني كنتُ له شهيدا أو شفيعا"[٦٢]

* وعن نافع، عن ابن عمر، عن النبي صلى ا عليه وآله وسلم، قال: "من حجَ (البيت) ولم يزرني فقد جفاني"[٦٣]

---

[61]) سنن الدار قطنى ٢/ ٢٧٨ ح ١٩٢، شعب الإيمان ٣/ ٤٨٩ح ٤١٥٤، السنن الكبرى ٥/ ٢٤٦، المعجم الكبير ١٢/ ٤٠٦ ح ١٣٤٩٧، الصلات والبشر: ١٤٣ الدر المنثور ١/ ٥٦٩، كنز العمال ٥/ ١٣٥ ح ١٢٣٦٨ و ١٥/ ٦٥١ح ٤٢٥٨٢، وفيها: "فزار" بدل "وزار"، وأنظر: الغدير ٥/ ٩٨ – ١٠٠ ح٣ ومصادره.

[62]) ورد الحديث باختلاف يسير في : شعب الإيمان ٣/ ٤٨٩ ذح، كنز العمال ٥/ ١٣٥ ح ١٢٣٧١، كما ورد مضمونه: في السنن الكبرى ٥/ ٢٤٥، شعب الإيمان ٣/ ٤٨٨ ح ٤١٥٢ و ٤٨٩ ح ٤١٥٧، الصلات والبشر: ١٤٣، الدر المنثور ١/ ٥٦٩، وانظر: الغدير ٥/ ١٠٠ – ١٠١ ح٥ ومصادره.

[63]) الدار المنثور ١/ ٥٦٩، الصلات والبشر: ١٤٣ كنز العمال ٥/ ١٣٥ ح ١٢٣٦٩، الكامل ٧/ ٢٤٨٠ وانظر: الغدير ٥/ ١٠٠ ح٤ ومصادره.

* وعن أبي هريرة، مرفوعا، عن النبي صلى ا عليه وآله وسلم، (قال): "من زارني بعد موتي فكأنما زارني حيا"(٦٤)

* وعن أنس مرفوعا عن النبي صلى ا عليه وآله وسلم قال: "من زارني ميتًا كمن زارني حيا. ومن زار قبري وجبت له شفاعتي. (٦٥)

* وعن ابن عباس، عن النبي صلى ا عليه وآله وسلم، قال: "من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي، ومن لم يزرني فقد جفاني"(٦٦)

---

[64]) ورد الحديث باختلاف في سنده وبعض ألفاظه في: مجمع الزوائد ٢/٤، الصلات والبشر: ١٤٢ و ١٤٣ الدر المنثور ١/ ٥٦٩، كنز العمال ٥/ ١٣٥ ح ١٢٣٧٢، المواهب اللدنّية ٨/ ٢٩٨ و٢٩٩، وانظر: الغدير ٥/ ١٠١ – ١٠٢ ح٦ ومصادره، وقد روى فيها عن حاطب بن أبي بلتعة مرفوعا، وص ١٠٥ – ١٠٦ ح ١٤ وفيه: عن ابن عمر مرفوعا.

[65]) الصلات والبشر: ١٤٣، كشف الخفاء ٢/ ٣٢٨ – ٣٢٩ ح ٢٤٨٩، وانظر الغدير ٥/ ١٠٤ ح١٠ ومصادره.

[66]) مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٤٠٧، وفاء الوفاء ٤/ ١٣٤٦ – ١٣٤٧ ح ١٤ و ١٦، وانظر ك الغدير ٥/ ١٠٤ – ١٠٥ ح١٢ ومصادره،

إلى غير ذلك من الأحاديث التي يجوز مجموعها حد المتواتر.

* وفي "الموطأ" أن ابن عمر كان يقف عند قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم، فيسلّم عليه وعند أبي بكر وعمر[٦٧].

وسئل نافع: هل كان (ابن عمر يسلّم على قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

فقال: رأيته مائة مرة أو أكثر يسلم على النبي وعلى أبي بكر[٦٨]

قال عياض: زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سنّةُ أجمع عليها المسلمون[٦٩].

* وروى بريدة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم "إني نهيتكم عن زيارة القبور فزروها"[٧٠]

وقد روي فيها عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام مرفوعا بدلاً عن ابن عباس.

[67] الموطأ ١/ ١٦٦، شعب الإيمان ٣/ ٤٩٠ ح – ٤١٦١، الدر المنثور ١/ ٥٧٠، وفاء الوفاء ٤/ ١٣٥٨.

[68] حقيقة التوسل والوسيلة: ١١١، وقال في الهامش: أخرجه الإمام عبد الله بن دينار عن ابن عمر.

[69] شرح الشفا ٣/ ٥١١، وفاء الوفاء ٤/ ١٣٦٢.

* وروى بريدة، عن النبي صلى ا عليه وآله وسلم إذا خرج إلى المقابر قال: "السلام عليكم أهلَ الديار مِن المؤمنين والمسلمين".(٧١)

* وعن ابن عباس، أن النبي (كان) يخرج إلى البقيع آخر الليل فيقول: "السلام عليكم.." الخبر رواه مسلم(٧٢)

- **التبرك بالقبور**: وأما التبرك بالقبور وتقبيلها والتسمح بها: فقد نقل عبد ا بن أحمد بن حنبل في كتاب "العلل والسؤلات"

قال: سألت أبي عن الرجل يمس منبر رسول ا يتبرك بمسه وتقبيله، ويفعل بالقبر ذلك رجاء ثواب ا .

فقال: لا بأس به(٧٣)

---

[70] صحيح مسلم ٢/ ٦٧٢ ح ٩٧٧، سنن النسائي ٨/ ٣١٠ – ٣١١ وج ٤/ ٨٩، سنن الترمذي ٣/ ٣٧٠ ح ١٠٥٤، سنن أبي داود ٣/ ٢١٨ ح ٣٢٣٥، السنن الكبرى ٤/ ٧٧، المعجم الكبير ٢/ ١٩ ح ١١٥٢ و ٩٤ ح ١٤١٩، المصنف ٣/ ٣٤٢.

[71] صحيح مسلم ٢/ ٦٧١ ح ٩٧٥، وسنن النسائي ٤/ ٩٤.

[72] صحيح مسلم ٢/ ٦٦٩ ح ٩٧٤ عن عائشة، وسنن الترمذي ٣/ ٣٦٩ ح ١٠٥٣ عن ابن عباس.

ونقل عن مالك التبرك بالقبر(٧٤)

وروي عن يحيى بن سعيد – شيخ مالك – أنه حينما أراد الخروج إلى العراق جاء إلى المنبر وتمسح به(٧٥).

ونقل السبكي رواية ليحيى بن الحسن، عن عمر بن خالد، عن أبي نباته، عن كثير بن يزيد، عن المطّلب بن عبد ا ، قال: أقبل مروان بن الحكم وإذا رجل ملتزم القبر، فأخذ مروان برقبته وقال: ما تصنع؟!

فقال: إنّي لم آت الحجر ولا اللبن، إنما جئت رسول ا صلى ا عليه وآله وسلم(٧٦).

وذكر رواية أحمد، قال: وكان الرجل أبا أيوب الأنصاري(٧٧).

---

[73]) العلل ومعرفة الرجال ٢/ ٤٩٢ ح ٣٢٤٣، وعنه في وفاء الوفا ٤/ ١٠٤، وانظر مؤداه أيضا في ص ١٤٠٣.

[74]) انظر مؤداه في وفاء الوفا ٤/ ١٤٠٧.

[75]) وفاء الوفا ٤/ ١٤٠٣.

[76]) شفاء السقام عن مسند أحمد ٥/ ٤٢٢.

[77]) شفاء السقام عن مسند أحمد ٥/ ٤٢٢.

* ونقل هذه الرواية أحمد، وزاد فيها أنه قال: سمعت رسول ا صلى ا عليه وآله وسلم يقول: لا تبكوا على الدين إذا ولوه أهله، وابكوا عليه إذا وليه غير أهله[(٧٨)].

وذكر ابن حماد أن ابن عمر كان يضع يده اليمنى على القبر[(٧٩)]

ولو ذكرت جميع الأحاديث لخرجنا من حد الاختصار، وفيما ذكر كفاية، فضلاً عن سيرة المسلمين. وما عرفتَ من أن تلك الأمور خارجة من حقيقة العبادة، فإذا لا وجه للمنع عنها وإن لم يكن دليل عليها.

هذا، وقد قال ا عز وجل: ومن يعظم شَعائِر ا فَإِنّها مِن تَقْوى القُلوبِ [(٨٠)]

---

[78]) شفاء السقام عن مسند أحمد ٥/ ٤٢٢، وفاء الوفا / ١٣٥٨ – ١٣٥٩.

[79]) وفاء الوفا ٤/ ١٤٠٥.

[80]) سورة الحج ٢٢: ٣٢.

الفصل الثاني

في توحيد ا
سبحانه في الأفعال

اعلم أن من ضروريات دين الإسلام، والمجمع عليه بين جميع الفرق المنتحلة لدين سيد الأنام، بل ومن أعظم أركـان التوحيد: توحيد ا عز وجلّ فـي تـدبير العـالم، كـالخلق والرزق والإماتة والإحياء إلى غير ذلك مما يرجع إلى تدبير العالم، كتسخير الكواكب، وجعل الليـل والنهـار، والظلـم والأنوار وإجراء البحار، وإنزال الأمطار، وغير ذلـك ممـا لا نحصيه ولا نحيط به.

وبالجملة:

لا كلام بين طوائف أهل الإسلام، أن المدبر لهذا النظام، هو ا الملك العلاّم، وحده.

وكيف يرتاب مسلم في ذلك؟! وهو يقرأ في كل يوم مرارا من الفرقان العظيم: (ا   الصمد) (٨١)

ويقرأ قوله عز من قائل: **وخَلَقَ كُل شَيء وهو بِكُل شَيء عليم** (٨٢)

وقوله سبحانه: **أَلا له الخلقُ والأمر** (٨٣)

وقوله تعالى: ﴿ **قُلْ من يرزقُكُم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخْرج الحي مِن الميت ويخْرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فَسيقُلون ا ُ فَقُلْ أَفَلا تَتقُون**﴾(٨٤)

وقوله عز اسمه: ﴿ **إِن ا َ له ملْك السماواتِ والأرض يحيِي ويمِيتُ وما لَكُم من دون ا ِ مِن ولِي ولاَ نَصِيرٍ** ﴾(٨٥)

---

[81]) سورة الإخلاص ١١٢: ٢.

[82]) سورة الأنعام: ٦: ١٠١.

[83]) سورة الأعراف ٧: ٥٤.

[84]) سورة يونس ١٠: ٣١.

[85]) سورة التوبة ٧: ١١٦.

وقوله عظُم شأنه:﴿ **قَالُوا يا نُوح قَد جادلْتَنَا فَأَكْثَرتَ جِدالَنَا فَأْتِنَا بِما تَعِدنَا إِن كُنْتَ مِن الصادِقِين.قَالَ إِنما يأْتِيكُم بِهِ ا ُ إِن شَاء وما أَنْتُم بِمعجِزِين** ﴾[86]

وقوله جلّ شأنه: ﴿ **أَم جعلُوا ِ شُركَاء خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابه الْخَلْقُ علَيهِم قُلِ ا ُ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ وهو الْواحِد الْقَهار** ﴾[87]

وقوله عز جبروته: ﴿ **فَإِنهم عدو لِي إِلا رب الْعالَمِين. الَّذِي خَلَقَنِي فَهو يهدِين. والَّذِي هو يطْعِمنِي ويسقِين. وإِذَا مرِضْتُ فَهو يشْفِين. والَّذِي يمِيتُنِي ثُم يحيِين** ﴾[88]

وقوله جلّ وعز: ﴿ **ولَئِن سأَلْتَهم من خَلَقَ السماواتِ والأَرض وسخر الشمس والْقَمر لَيقُولُن ا ُ فَأَنى يؤْفَكُون**﴾[89]

---

[86] سورة هود ١١: ٣٢و ٣٣.

[87] سورة الرعد ١٣: ١٦.

[88] سورة الشعراء ٢٦: ٧٨ – ٨١.

[89] سورة العنكبوت ٢٩: ٦١.

وقوله عم إحسانه: ﴿ **ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن ا ُ قل الحمد ـ بل أكثرهم لا يعقلون** ﴾[90]

وقوله جلّت قدرته: ﴿ **ا ُ الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم** ﴾[91]

وقوله تعالى شأنه: ﴿ **خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم. هذا خلق ا ـ فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين** ﴾[92]

وقوله تعالى:﴿ **ا ُ خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل. له مقاليد السماوات والأرض والذين كفروا بآيات ا ـ أولئك هم الخاسرون** ﴾[93]

---

[90]) سورة العنكبوت ٢٩: ٦٣.

[91]) سورة الروم ٣٠: ٤٠.

[92]) سورة لقمان ٣١: ١٠و ١١.

[93]) سورة الزمر ٣٩: ٦٢و ٦٣.

وقوله تعالى من قائل: ﴿ **وأن إلى ربك المنتَهى. وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أماتَ وأحيا. وأنه خَلَقَ الزوجين الذكَر والأُنْثَى.مِن نطْفَةٍ إذَا تُمنَى.وأن عليهِ النشأةَ الأُخْرى. وأنه هو أغْنَى وأقْنَى** ﴾[٩٤]

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

- التوسل والاستغاثة والاستشفاع

لكن التوسل بغير ا سبحانه، والاستغاثة، والاستشفاع – المعمولة عند المسلمين، في جميع الأزمان، بالنسبة إلى الأنبياء والأولياء – ليس بمعنى التشريك في أفعال ا تعالى.

بل الغرض أن يفعل ا فعله ويقضي الحاجة ببركتهم وشفاعتهم، حيث إنّهم مقربون لديه مكرمون عنده، ولا مانع من أن يكونوا سببا ووسيلة لجريان فيضه.

هذا، ومن المركوز في طباع البشر توسلهم في حوائجهم التي يطلبونها من العظماء والملوك والأمراء إلى المخصوصين بحضرتهم، ويرون هذا وسيلة لنجح حاجتهم، وليس ذلك تشريكًا لذاك المخصوص مع ذاك الأمير أصلاً.

---

[94]) سورة النجم ٥٣: ٤٢ – ٤٨.

فلماذا يعزل أنبياء ا والأولياء من مثل ما يصنع بمخصوصي العظماء؟!

إن هذا إلا اختلاف وقد قال ا عز وجلّ: ﴿**من ذَا الذِي يشْفَع عِنْده ِإلا ِبإِذْنِهِ** ﴾(٩٥)

فاستثنى..

وقال سبحانه: ﴿ **ولاَ يشْفَعون ِإلا ِلمن ارتَضى** ﴾(٩٦)

ومما ذكر ظهر أن قول القاضي: "ودعائها مع ا " يعني الضرائح، افتراء على المسلمين من جهتين:

الأولى: دعوى تشريك غير ا معه في الدعاء:

مع أنهم لا يدعون إلا ا الواحد القهار، ويتوسلون بأوليائه إليه.

وإن كان المراد أنهم يدعون ا عز وجل لقضاء الحاجات، ويدعون أولياءه ليكونوا شفعاء لديه سبحانه، فاختلفت جهتا الدعوة، فهذا حق وصدق، ولا مانع منه أصلا.

---

[95]) سورة البقرة ٢: ٢٥٥.

[96]) سورة الأنبياء ٢١: ٢٨.

بل الوهابية ما قدروا الله حق قدره إذ قالوا: لا ضرورة في استنجاح الحاجة عنده إلى شفيع! ولا حسن في ذلك، ويرون ذلك أمرا مرغوبا مطلوبا بالنسبة إلى غيره سبحانه!

فإذا كان لهم حاجة إلي الناس، يتوسلون في نجاحها إلى المقربين لديهم، ولا يرون في ذلك بأسا! فما بال الله عز وجل يقصر به عما يصنع بعباده؟!

الجهة الثانية: إضافة الدعوة إلى الضرايح:

والحال أنّهم لا يدعون الضريح للشفاعة، بل يدعون صاحب الضريح، لأنه ذو مكان مكين عند الله وإن كان متَوفى ﴿ **ولاَ تَحسبن الذِين قُتِلُوا فِي سبِيلِ الله أَمواتًا بلْ أَحياء عِنْد ربهم يرزقُون** ﴾[97].

وبالجملة:

فالتوسل وطلب الشفاعة من أولياء الله أمر مرغوب فيه عقلاً وشرعا، وقد جرت سيرة المسلمين عليه قديما وحديثًا.

---

[97] سورة آل عمران ٣: ١٦٩ و١٧٠.

* فعن أنس بن مالك، أنه قال: جاء رجل إلى رسول ا صلى ا عليه وآله وسلم فقال: يا رسول ا ، هلَكت المواشي وتقطّعت السبل، فادع ا .

فدعا ا ، فمطِرنا من الجمعة إلى الجمعة.

فجاء رجل إلى النبي صلى ا عليه وآله وسلم فقال: يا رسول ا ، تهدمت البيوت وتقطعت السبل وهلكت المواشي.

فقال رسول ا صلى ا عليه وسلم اللهم على ظهور الجبال والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر.

فانجابت عن المدينة انجياب الثوب" رواه البخاري [٩٨]

وروى عدة أحاديث في هذا المعنى يشبه بعضها بعضا[٩٩].

* وفيه أيضا: حدثنا عبد ا بن أبي الأسود، (حدثنا حرمى) حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: "قالت أُمي: يا رسول ا ، خادمك (أنس)، آدع ا له.

قال: اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته"[١٠٠]

---

[98]) البخاري ٢/ ٣٧.

[99]) البخارى ٢/ ٣٤ – ٣٨.

[100]) البخاري ٨/ ٩٣.

* وروى البخاري: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا حاتم، عن الجعد بن عبد الرحمن. قال: سمعت السائب بن يزيد يقول: "ذهبت بي خالتي إلى رسول ا صلى ا عليه وسلم وآله وسلم فقالت: يا رسول ا ، إن ابن أُختي وجِع.

فمسح رأسي، ودعا لي بالبركة، ثم توضأ فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل زر الحجلة"[(١٠١)]

* وروى البيهقي، أنه جاء رجل إلى قبر النبي صلى ا عليه وآله وسلم فقال: يا محمد، استقي لأُمتك، فَسقوا[(١٠٢)].

* وروى الطبراني وابن المقرئ وأبو الشيخ، أنّهم كانوا جياعا، فجاءوا إلى قبر النبي صلى ا عليه وآله وسلم فقالوا: يا رسول ا ، الجوع الجوع فأشبعوا[(١٠٣)]

* ونقُل أن آدم لَما اقترف الخطيئة قال: يا ربي أسألك بحقّ محمد لَما غفرت لي.

---

[101]) البخاري ٨/ ٩

[102]) انظر قريبا منه في وفاء الوفا ٤/ ١٣٧٤.

[103]) انظر: وفاء الوفا ٤/ ١٣٨٠

فقال: لأنك لما خلقتني نظرت إلى العرش فوجدت مكتوبا فيه: لا إله إلا ا ، محمد رسول ا ، فرأيت اسمه مقرونًا مع اسمك، فعرفتُه أحب الخلق إليك. صححه الحاكم(١٠٤).

* وعن عثمان بن حنيف، أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي صلى ا عليه وآله وسلم فقال: أدع ا أن يعافيني.

فقال النبي صلى ا عليه وآله وسلم: إن شئتَ صبرت فهو خير لك، وإن شئتَ دعوتُ.

قال: فآدعه.

فأمره أن يتوضأ ويدعو بهذا الدعاء: "اللهم أني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد، نبي الرحمة، يا محمد، أنني توجهت بك إلى ربي في حاجتي ليقضيها لي. اللهم شفعه"(١٠٥)

---

[104]) المستدرك على الصحيحين ٢/ ٦١٥ باختلاف يسير، وانظر: دلائل النبوة – للبيهقي – ٥/ ٤٨٩، ووفاء الوفا ٤/ ١٣٧١ – ١٣٧٢.

[105]) سنن الترمذي ٥/ ٥٦٩ ح ٣٥٧٨ باختلاف يسير، ورواه النسائي في كتاب "اليوم والليلة" وفي سنن ابن ماجه ١/ ٤٤١ ح ١٣٨٥ باختلاف يسير أيضا.

وفي البيهقي: فقام وأبصر.. [١٠٦].

* ونقل الطبراني، عن عثمان بن حنيف، أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفّان في حاجة فكان لا يلتفت إليه، فشكا ذلك لابن حنيف، فقال له: اذهب وتوضأ وقل: .. وذكر نحو ما ذكر الضرير.

قال: فصنع ذلك، فجاء البواب فأخذه، وأدخله إلى عثمان، فأمسكه على الطنفسة وقضي حاجته[١٠٧].

* وفي رواية الحافظ، عن ابن عباس، أن عمر قال: اللهم إنّا نستسقيك بعم نبينا، ونستشفع بشيبته، فَسقوا[١٠٨].

---

[106]) الدعوات، وانظر: وفاء الوفاء ٤/ ١٣٧٢.

[107]) المعجم الكبير ٩/ ٣٠ – ٣١ ح ٨٣١١ باختلاف يسير، وانظر: وفاء الوفا ٤/ ١٣٧٣.

[108]) دلائل النبوة – للأصبهاني – ٢/ ٧٢٥ ح ٥١١ باختلاف يسير.

- الشفاعة:

وأخبار الشفاعة متواترة:

* روى البخاري، عن النبي صلى ا عليه وآله وسلّم أنه: من سمع الأذان ودعا بكذا حلت له شفاعتي يوم القيامة[١٠٩].

* وروى مسلم، عنه صلى ا عليه وآله وسلم أنه: ما من ميت يموت يصلّى عليه أمة من الناس يبلغون مائة، كلهم يشفعون له، إلا شفعوا فيه[١١٠].

* وروى الترمذي، عن أنس، أنه قال: سألت النبي صلى ا عليه وآله وسلّم أن يشفع لي يوم القيامة.

فقال: أنا فاعل.

قلت: فأين أطلبك؟

قال: أولاً على الصراط..

قال: فإن لم ألقك.

قال: عند الميزان.

---

109) البخاري ١/ ١٥٩ باختلاف يسير.

110) مسلم ٢/ ٦٥٤ ح ٩٤٧، باختلاف يسير.

قلت: فإن لم ألقك؟

قال: عند الحوض، فإنّي (لا) أُخطئ هذه المواضع[111].

وقد نُقل عن الصحابة، بطرق عديدة، أن الصحابة كانوا يلجئون إلى قبر النبي صلى ا عليه وآله وسلم، ويندبونه في الاستسقاء ومواقع الشدائد وسائر الأمراض[112]

ولا يخفى أن وفاة المتوسل به لا تنافى التوسل أصلاً، فإن مكانه عند ا لا يزول بالموت، كما هو واضح.

هذا، مع أنّهم في الحقيقة أحياء كما ذكر ا عز وجل في حال الشهداء، فالشهداء إذا كانوا أحياء فالأنبياء والأولياء أحقّ بذلك.

هذا كلّه مع أن الأرواح لا تفنى بالموت، والعبرة بها وبالأجساد، وإن كان أجساد الأنبياء لا تبلى كما نُص عليه في الأخبار[113].

---

[111]) سنن الترمذي ٤/ ٣٢١ – ٦٢٢ ح ٢٤٣٣، الوفا بأحوال المصطفى ٢/ ٨٢٤ باختلاف يسير.

[112]) انظر: وفاء الوفا ٤/ ١٣٧٢ – ١٣٨٧.

[113]) سنن ابن ماجه ١/ ٥٢٤ح ١٦٣٧، وانظر مؤداه وفي وفاء الوفا ٤/ ١٣٥ – ١٣٥٦.

* وفي خبر النسائي وغيره، عن النبي صلى ا عليه وآله وسلم، قال: إن ملائكة سياحين في الأرض يبلغونني من أمتي السلام[١١٤].

والأخبار في هذا الباب كثيرة[١١٥].

* وأخرج أبو نعيم في "دلائل النبوة" عن سعيد بن المسيب، قال: لقد كنت في مسجد رسول ا فما يأتي وقت الصلاة إلا سمعت الأذان من القبر[١١٦]

وأخرج ابن سعد في الطبقات عن سعيد بن المسيب أنه كان يلازم المسجد أيام الحرة. فإذا جاء الصبح سمع أذانًا من القبر الشريف. [١١٧]

* وأخرج زبير بن بكّار في "أخبار المدينة" عن سعيد بن المسيب، قال: لم أزل أسمع الأذان والإقامة من قبر

---

[114]) سنن النسائي ٣/ ٤٣، مسند أحمد ١/ ١٤١، سنن الدرامي ٢/ ٣١٧.

[115]) انظر: وفاء الوفا ٤/ ١٣٤٩ – ١٣٥٤.

[116]) دلائل النبوة – للأصبهاني – ٢/ ٧٢٤ – ٧٢٥ ح ٥١٠ باختلاف يسير.

[117]) الطبقات الكبرى ٥/ ١٣٢. وسبق الإشارة إلى وقعة الحرة بالمدينة..

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أيام الحرة حتّى عاد الناس(١١٨).

* ونقل أبو عبد الله البخاري، أن الشهداء وسائر المؤمنين إذا زارهم المسلم وسلم عليهم عرفوه وردوا عليه السلام(١١٩).

وروى الثعلبي في تفسيره، وابن المغازلي الشافعي الواسطى في "المناقب" أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه لّما حملهم السباط وصلوا إلى موضع أهل الكهف، فقال: سلّموا عليهم، فسلموا عليهم، فلم يردوا، فسلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليهم، فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته(١٢٠).

* وروى الحاكم، عن سالم بن أبي حفصة، توفّى أخٌ لي فوضعته في القبر وسويتُ عليه التراب، ثم وضعت أُذني

---

[118]) انظر: وفاء الوفا ٤/ ١٣٥٦.

[119]) انظر: وفاء الوفا ٤/ ١٣٥١.

[120]) مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ٢٣٢ – ٢٣٣ ح ٢٨٠، وفيه: "علي عليه السلام" بدل "النبي صلى الله عليه وآله وسلم".

على لحده فسمعت قائلا يقول له: من ربك؟ فسمعت أخي يقول بصوت ضعيف: ربي ا .. إلى آخره[121]

والأخبار التي يستدل بها على الدعوى أكثر من أن تحصى.

---

[121]) المستدرك..

الفصل الثالث

في البناء على القبور

اعلم أن البناء على قبور الأنبياء والعبـاد المصـطفين تعظيم لشعائر ا ، وهو من تقوى القلوب ومن السنن الحسنة، حيث إنّه احترام لصاحب القبر، وباعثُ على زيارته، وعلى عبادة ا عز وجل – بالصلاة والقراءة والذكر وغيرهـا – عنده، وملجـأ للزائـرين والغربـاء والمسـاكين والتـالين والمصلّين. بل هو إعلاء لشأن الدين.

* وعن النبي صلى ا عليه وآله وسلم: "من سن سـنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها"(١٢٢)

وقد بنُي على مراقد الأنبياء قبل ظهور الإسلام وبعـده، فلم ينكره النبي صلى ا عليه وآلـه وسـلم ولا أحـد مـن الصحابة والخلفاء، كالقباب المبنية على قبـر دانيـال عليـه

---

[122]) ورد الحديث باختلاف يسير في: مسند أحمد ٤/ ٣٦١، سنن ابن ماجه ١/٧٤ - ٧٥ ح ٢٠٣ – ٢٠٨ باب من سن سنُة حسنة أو سيئة، مشكل الآثار ١/ ٩٤ و ٩٦ و ٤٨١.

السلام في شوشتر[١٢٣] وهود وصالح ويـونس وذي الكفـل عليهم السلام، والأنبياء في بيت المقدس وما يليها، كالجبـل الذي دفن فيه موسى عليه السلام، وبلد الخليل مدفن سـيدنا إبراهيم عليه السلام.

بل الحجر المبني على قبر إسماعيل عليه السلام وأُمـه رضي ا عنها.

بل أول من بنى حجرة قبر النبي صلى ا عليه وآلـه وسلم باللبن – بعد أن كانت مقومة بجريد النخل – عمر بـن الخطّاب، على ما نص عليه السمهودي في كتاب "الوفاء"[١٢٤] ثم تناوب الخلفاء على تعميرها[١٢٥]

* وروى البنّائي[١٢٦] واعظ أهل الحجاز، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده الحسين عن أبيه علي، أن رسـول

---

123) هي إحدى مدن مقاطعة خوزستان في إيران، ومعربها: تُستَر، انظر: معجم البلدان ٢/ ٢٩ (تستر).

124) وفاء الوفا ٢/ ٤٨١.

125) وفاء الوفا ٢/ ٤٨١ – ٦٤٧.

126) في المصدر: التبانى.

ا صلى ا عليه وآله وسلم قال له: "وا لَتُقتلَن فـي أرض العراق وتُدفن بها.

فقلت: يا رسول ا ، ما لمـن زار قبورنـا وعمرهـا وتعاهدها؟

فقال: يا أبا الحسن، إن ا جعل قبرك وقبر والديك بقاعا من بقاع الجنّة (وعرصة من عرصاتها) وإن ا جعل قلوب نجباء من خلقه، وصفوة من عباده، تحـن إلـيكم (وتحتمـل المذلة والأذى) فيعمرون قبوركم، ويكثرون زيارتهـا تقربـا (منهم) إلى ا تعالى، ومودة منهم لرسوله (أولئك يـا علـي المخصوصون بشفاعتي، الواردون حوضي، وهـم زواري غدا في الجنّة).

يا علي، من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس.."

إلى آخره(١٢٧)

ولا يخفى أن جعل معمر قبورهم كالمعين على بناء بيت المقدس، دال على أن تعظيم مراقـدهم تعظـيم لشـعائر ا

---

[127]) فرحة الغرى: ٧٧، وعنه في بحار الأنوار ١٠٠/ ١٢٠ ح ٢٢.

سبحانه، ونُقل نحو ذلك – أيضا – في حديثين معتَبرين، نقل أحدهما الوزير السعيد بسند، وثانيهما بسند آخر(١٢٨).

والسيرة القطعية – من قاطبة المسـلمين – المسـتمرة، والإجماع، يغنيان عن ذكر الأحاديث الدالة على الجواز.

وما أعجب قول المفتين: "أما البناء على القبور فممنوع إجماعاً"!

فإن مذهب الوهابية – وهم فئة قليلة بالنسبة إلى سـائر المسلمين – لم يظهر إلا قريبا من قرن واحد ولا يتفوه أحـد من المسلمين – سوى الوهابية – بحرمة البناء، فأين الإجماع المدعى؟!

ودعوى ورود الأحاديث الصحيحة على المنع – لو ثبت – غير مجد لإثبات الحرمة، لأن أخبار الآحاد لا تنهض لدفع السيرة والإجماع القطعي، مع أن أصل الدعوى ممنوع جدا.

فإن مثل رواية جابر: (نهى رسـول ا أن تُجصـص، وأن يكتب عليها، وأن يبنى عليها وأن توطأ"(١٢٩) لا تدلّ على

128) فرحة الغرى: ٧٨، وعنه في بحار الأنوار ١٠٠/ ١٢١ ح ٢٣ و ٢٤.

129) سنن الترمذي ٣/ ٣٦٨ ح ١٠٥٢.

التحريم، لعدم حرمة الكتابة على القبور ووطئها، فذلك مـن أقوى القرائن على أن النهي في الروايـة غيـر دالّ علـى الحرمة، ولا نمنع الكراهة في غير قبور مخصوصة.

مع أن الظاهر من قوله: "يبنى عليهـا" إحـداث بنـاء كالجدار على نفس القبر، فإن بناء القبة وجدرانها بعيدة عـن القبر، ليس بناء على القبر على الحقيقة، وإنما هو نوع مـن المجاز، وحمل اللفظ على الحقيقة حيث لا صـارف عنهـا معين، مع أن النهي عن الوطء يؤكد هذا المعنـى، لا الـذي فهموه من الرواية.

وأما الاستدلال على وجوب هدم القباب بحـديث أبـي الهياج، فغير تام في نفسه – مع قطع النظر عـن مخالفتـه للإجماع والسيرة لوجوه:

* الأول: إن الحديث مضطرب المتن والسند.

فتارة يذكر عن أبي الهياج أنه قال: "قال لي علي" كمـا في رواية أحمد عن عبد الرحمن.

وتارة يذكر عن أبي وائل، أن عليا قال لأبي الهياج.

وروى عبد الله بن أحمد في "مسند علي" هكذا: "لأبعثنك فيما بعثني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن أُسوي كل قبر، وأن أطمس كل صنم"[١٣٠]

فالاضطراب المذكور يسقطه عن الحجية والاعتبار.

* الثاني: أنه من الواضح أن المأمور به في الرواية لم يكن هدم جميع قبور العالم، بل الحديث وارد في بعث خاص وواقعة مخصوصة، فلعل البعث قد كان إلى قبور المشركين لطمس آثار الجاهلية، كما يؤيده ذكر الصنم، أو إلى غيرها مما لا نعرف وجه مصلحتها، فكيف يتمسك بمثل هذه الرواية لقبور الأنبياء والأولياء؟!

قال بعض علماء الشيعة من المعاصرين:

إن المقصود من تلك القبور، التي أمر علي عليه السلام بتسويتها، ليس هي إلا تلك القبور التي كانت تُتّخذ قِبلةً عند بعض أهل الملل الباطلة، وتقام عليها صور الموتى وتماثيلهم، فيعبدونها من دون الله ..

وليت شعري لو كان المقصود من القبور – التي أمر علي عليه السلام. بتسويتها – هي عامة القبور على

---

130) مسند أحمد ١/ ٨٩ و ١١١.

الإطلاق، فأين كان عليه السلام – وهو الحاكم المطلق يؤمئذ – عن قبور الأنبياء التي كانت مشيدة على عهده؟! ولا تزال مشيدة إلى اليوم في فلسطين وسـورية والعـراق وإيـران، ولو شاء تسويتها لقضى عليها بأقصر وقت.

فهل ترى أن عليا عليه السلام يأمر أبا الهيـاج بـالحقّ وهو يروغ عنه فلا يفعله؟!

انتهى ما أردنا نقله منه.

* الثالث: قال بعض المعاصرين من أهل العلم:

لا يخفى من اللغة والعرف أن تسوية الشيء مـن دون ذكر القرن المساوي معه، إنما هو جعلُ الشيء متساويا فـي نفسه، فليس لتسوية القبر في الحديث معنى إلا جعله متساويا في نفسه، وما ذلك إلا جعل سطحه متساويا.

ولو كان المراد تسوية القبر مع الأرض، لكان الواجـب في صحيح الكلام أن يقال: إلا سويته مع الأرض.

فإن التسوية بين الشيئين المتغايرين لابد فيهـا مـن أن يذكر الشيئان اللذان تُراد مساواتهما.

وهذا ظاهر لكلّ من يعطي الكلام حقّه من النظر، فـلا دلالة في الحديث إلا على أحد أمرين:

أولهما: تسطيح القبور وجعلها متساوية برفع سـنامها، ولا نظر في الحديث إلى علوهـا، ولا تشـبث فيـه بلفـظ (المشرف) فإن الشُرف إن ذُكر أنه بمعنى العلو، فقد ذُكر أنه من البعير سنامه، كما في القاموس وغيره[١٣١]، فيكون معنى (المشرف) في الحديث هو: القبر ذو السنام، ومعنى تسويته: هدم سنامه.

وثانيهما: أن يكون المراد: القبور التي يجعل لها شُرف من جوانب سطحها، والمراد من تسـويته أن تُهـدم شُـرفُه ويجعل مسطّحا أجم، كما في حديث ابن عبـاس: ُأمرنـا أن نبني المدائن شُرفًا والمساجد جما[١٣٢].

وعلى كل حال، فلا يمكن في اللغة والاستعمال أن يراد من التسوية في الحديث أن يساوى القبر مع الأرض، بل لابد أن يراد منه أحد المعنَيين المذكورين.

وأيضا: كيف يكون المراد مساواة القبر مع الأرض، مع أن سيرة المسلمين المتسلسلة على رفع القبور عن الأرض؟!

---

131) انظر مادة (شرف) في القاموس المحيط ٣/ ١٥٧، تهذيب اللغة ١١/ ٣٤١، لسان العرب ٩/ ١٧١.

132) غريب الحديث ٤/ ٢٢٥، الفائق ١/ ٢٣٤، لسان العرب ٩/ ١٧١.

وفي آخر كتاب الجنائز من جامع البخاري، مسندا عـن سفيان التمار، أنه رأى قبر رسول ا صلى ا عليه وسـلم مسنّما(١٣٣).

وأسند أبو داود في كتاب الجنائز عـن القاسـم، قـال: دخلت على عائشة فقلت: يا أمه، اكشفي لي عن قبر رسـول ا صلى ا عليه وآله وسلم وصاحبيه، فكشفت عن ثلاثـة قبور لا مشرفة ولا لاطئة(١٣٤). وأسند ابـن جريـر، عـن الشعبي، أن كلّ قبور الشهداء مسنمة(١٣٥)

انتهى ما أردنا نقله منه.

وأقول بعد ذلك: لو كان قوله: "مشرفًا" بمعنـى عاليـا، فليس يعم كل قبر ارتفع عن الأرض ولو بمقدار قليل، فإنـه لا يصدق عليه القبر العالي، فإن العلو في كلّ قبر إنما هـو بالإضافة إلى سائر القبور، فلا يبعد أن يكون أمرا بتسـوية القبور العالية فوق القدر المتعارف المعهود في ذلك الزمـان

---

[133]) البخاري ٢/ ١٢٨.

[134]) سنن أبي داود ٣/ ٢١٥ ح ٣٢٢٠.

[135]) كنز العمال ١٥/ ٧٣٦ ح ٤٢٩٣.

إلى حد المتعارف، وقد أفتى جمع من العلماء بكراهة رفـع القبر أزيد من أربع أصابع[١٣٦].

ولتخصيص الكراهة – لو ثبت – بغير قبـور الأنبيـاء والمصطفَين من الأولياء وجه.

* الرابع: لو سلم أي دلالة في الرواية، فلا ربـط لهـا ببناء السقوف والقباب ووجوب هدمها، كما هو واضح.

وأما قول السائل: "وإذا كان البناء في مسبلة – كـالبقيع – وهو مانع.. إلى آخره".

فقد أجاب بعض المعاصرين عنه بما حاصله:

أن أرض البقيع ليست وقفًا، بل هي باقية على إباحتهـا الأصلية، ولو شككنا في وقفّيتها يكفينا استصحاب إباحتها.

وأقول: بل وقفّيتها غير مانع عن البناء، لأنّها موقوفـة مقبرة على جميع الشئون المرعية في المقابر ومنها: البنـاء على قبور أشخاص مخصوصين كالأصفياء، فإن البناء على

---

[136]) منتهى المطلب ١/ ٤٦٢.

القبور ليس أمرا حديثًا بل كان أمـرا متعارفًـا مـن قـديم الأيام(١٣٧)

---

137) ومما أفاد به سماحة العلامة المحققّ السيد محمد رضا الحسيني الجلالي، هذا التعليق:

أقول: والتمسك بوقفية الأرض، يزاحمه: أن الأبنية المضروبة، والسقوف المرفوعة، هي أيضا داخلة في الموقفات المسبلة الموضوعة لصالح الواقف، كالجدران المانعة عن دخول الحيوانات، والأبواب لمنع العابثين فهي كلها قد وقفت لصالح القبور والداخلين للاستظلال والجلوس وغير ذلك من الأعمال المباحة، فما هو المجوز للتعدي عليها بالهدم ومخالفة عليها المصالح الموقوف لأجلها.

كما ناقض الوهابيون أنفسهم بوضع الجدران والشبابيك والأبواب والمداخل، للبقيع، أليس ذلك استصلاحا؟! لكنّه موصل لهم إلى أغراضهم الفاسدة، وطبقًا لفتاواهم المزيفة ودعاواهم الباطلة!

الفصل الرابع

في الصلاة عند القبور

وإيقاد السرج عليها

- الصلاة عند القبور:

وقد جرت سيرة المسلمين – السيرة المستمرة – على جواز ذلك وأما حديث ابن عباس: "لعن رسول ا صلى ا عليه وآله وسلم زائرات القبور، والمتّخذين عليها المساجد والسرج"[(١٣٨)]

فالظاهر والمتبادر – من اتّخاذ المسجد على القبر -: السجود على نفس القبر، وهذا غير الصلاة عند القبر.

هذا لو حملنا المساجد على المعنى الاصطلاحي، فالمذموم اتّخاذ المسجد عند القبور، لا مجرد إيقاع الصلاة، كما هو المتعارف بين المسلمين، فإنّهم لا يتّخذون المساجد على المراقد، فإن اتّخاذ المسجد ينافي الغرض في إعداد ما

---

[138]) سنن أبي داود ٢١٨/٣ ح ٣٢٣٦ ، سنن النسائي ٩٥/٤.

حول القبر إعانة للزوار على الجلوس لتلاوة القرآن وذِكر ا والدعاء والاستغفار، بل يصلون عندها، كما يأتون بسائر العبادات هنالك.

هذا، مع أن اللعن غير دالّ على الحرمة، بل يجامع الكراهة أيضا..

- إيقاد السرج:

وأما إيقاد السرج، فإن الرواية لا تدلّ إلا على ذم الإسراج لمجرد إضاءة القبر، وأما الإسراج لإعانة الزائرين على التلاوة والصلاة والزيارة وغيرها، فلا دلالة في الرواية على ذمه.

وإن شئت توضيح ذلك فأرجع إلى هذا المثل:

إنّك لو أضعت شيئًا عند قبر، فأسرجت هناك لطلب ضالتك، فهل في تلك الرواية دلالة على ذم هذا العمل؟!

فكذلك ما ذكرناه.

هذا مع ما عرفت أن اللعن! – حقيقة – هو البعد من الرحمة، ولا يستلزم الحرمة، فإن عمل المكروه – أيضا - مبعد من ا ، كما أن فعل المستحب مقرب إليه عز وجل.

هذا، وذكر بعض العلماء في الجواب: أن المقصود من النهي عن اتخاذ القبور مساجد، أن لا تُتخذ قبلة يصلى إليها باستقبال أي جهة منها، كما كان يفعله بعض أهل الملل الباطلة.

ومما يدل عليه ما رواه مسلم: عن رسول ا صلى ا عليه وآله وسلم أنّه قال: إن ُأولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصورة، أولئك شرار الخلق عند ا عز وجل يوم القيامة[١٣٩].

وقال صلى ا عليه وآله وسلم: لُعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم[١٤٠]، فإنه من المعلوم لدى الخبراء بتقاليد أولئك المبطلين، أنهم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد على الوجه المذكور، وذلك يجعل ما برز من أثر القبر قبلة، وما دار حوله من الأرض مصلّى، ولذلك قالت أم المؤمنين

---

[139]) مسلم ١/ ٣٧٦ ح ٥٢٨.

[140]) مسند أحمد ٢/ ٢٨٥

عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشى أن يتخذ مسجدا[(١٤١)].

فلو كان اتّخاذه مسجدا على معنى إيقاع الصلاة عنده – وإن كان التوجه بها إلى الكعبة – لما كان الإبراز سببا لحصول الخشية، فإن الصلاة – كذلك – غير موقوفة على أن يكون للقبر أثر بارز، وإنما الذي يتوقف على بروز الأثر هو: الصلاة إليه نفسه.

ثم استشهد بكلام النووي في شرح مسلم، قال:

"قال العلماء: إنما نهى النبي صلى ا عليه وآله وسلم عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجدا خوفًا من الافتنان به، فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية، ولما احتاجت الصحابة والتابعون إلى الزيارة في مسجد رسول ا صلى ا عليه وآله وسلم حين كثر المسلمون، وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أُمهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة، بنوا على القبر حيطانًا مرتفعة مستديرة حوله، لئلا يظهر في المسجد فيصلي إليه العوام ويؤدي إلى المحذور.

---

[141]) مسند أحمد ٦/ ٨٠، مسلم ١/ ٣٧٦ح ٥٢٩.

ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا، حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر، ولهذا قال في الحديث: (ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتّخذ مسجدا) وا   العِالم بالصواب"[١٤٢]

ثم استظهر أن يكون الإسراج المنهي عنه: إما الإسراج على قبور أولئك المبطلين الذين كانوا يتّخذونها قبلة، كما ربما يشهد بذلك سياق الحديث المومئ إليه.

أو الإسراج الذي يتّخذه بعض جهلة المسلمين على مقابر موتاهم في ليالٍ مخصوصة، لأجل إقامة المناجاة عليها والنوح على أهلها بالباطل.

---

142) شرح النووي على مسلم ٥/ ١٤.

الفصل الخامس

في الذبائح والنذور

اعلم أن المسائل المسلمة الواضحة الضـرورية عنـد طوائف المسلمين. اختصاص الذبح والتقرب بالقربـان بـه سبحانه، فلا يصح الذبح إلا .

وهكذا أمر النذر، فمن المؤكد المتفق عليه بين طوائـف المسلمين أن النذر لا يصح إلا ، ولذا يذكر في صيغته: علي كذا..

أما الذبح عن الأموات، فلابد أن يكون وحـده، وإن كان عن الميت، وكم بين الذبح عن الميت والذبح له.

والممنوع هو الثاني لا الأول:

قال بعض العلماء في المنهج[١٤٣]: وأما من ذبـح عـن الأنبياء والأوصياء والمؤمنين، ليصل الثواب إلـيهم – كمـا نقرأ القرآن ونهدي إليهم، ونصلي لهم، وندعو لهم، ونفعـل جميع الخيرات عنهم – ففي ذلك أجر عظيم.

---

[143]) انظر منهج الرشاد: ص ١٦٠.

وليس قصد أحد من الذابحين للأنبياء أو لغير ا سوى ذلك أما العارفون منهم فلا كلام.

وأما الجهال فهم على نحو عرفانهم.

وقد روي عن النبي (ص) أنه ذبح بيده، وقال: اللهم هذا عني وعن من لم يضح من أمتي.[١٤٤]

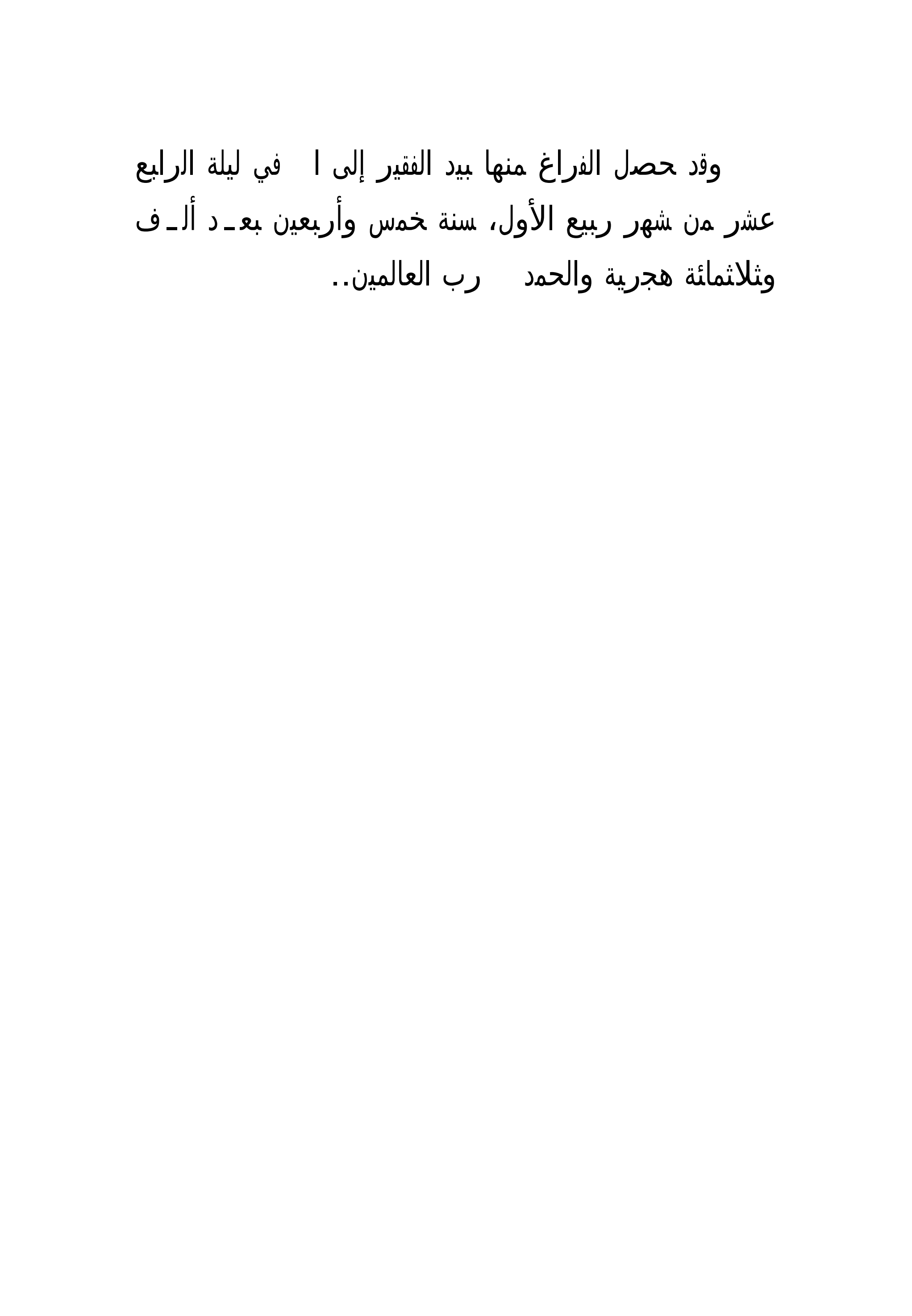
وقال بعض المعاصرين:

أما التقرب إلى الضرائح بالنذور ودعاء أهلها مـع ا ، فلا نعهد واحدا من أوباش المسلمين وغيرهم يفعل ذلك، وإنما ينذرون بالنذر المشروع، فيجعلون المنذور في سبيل إعانة الزائرين على البر، أو للإنفاق علـى الفقـراء والمحـاويج. لإهداء ثوابه إلى صاحب القبر، لكونه من أهل الكرامة فـي الدين والقربى.. أ هـ ..

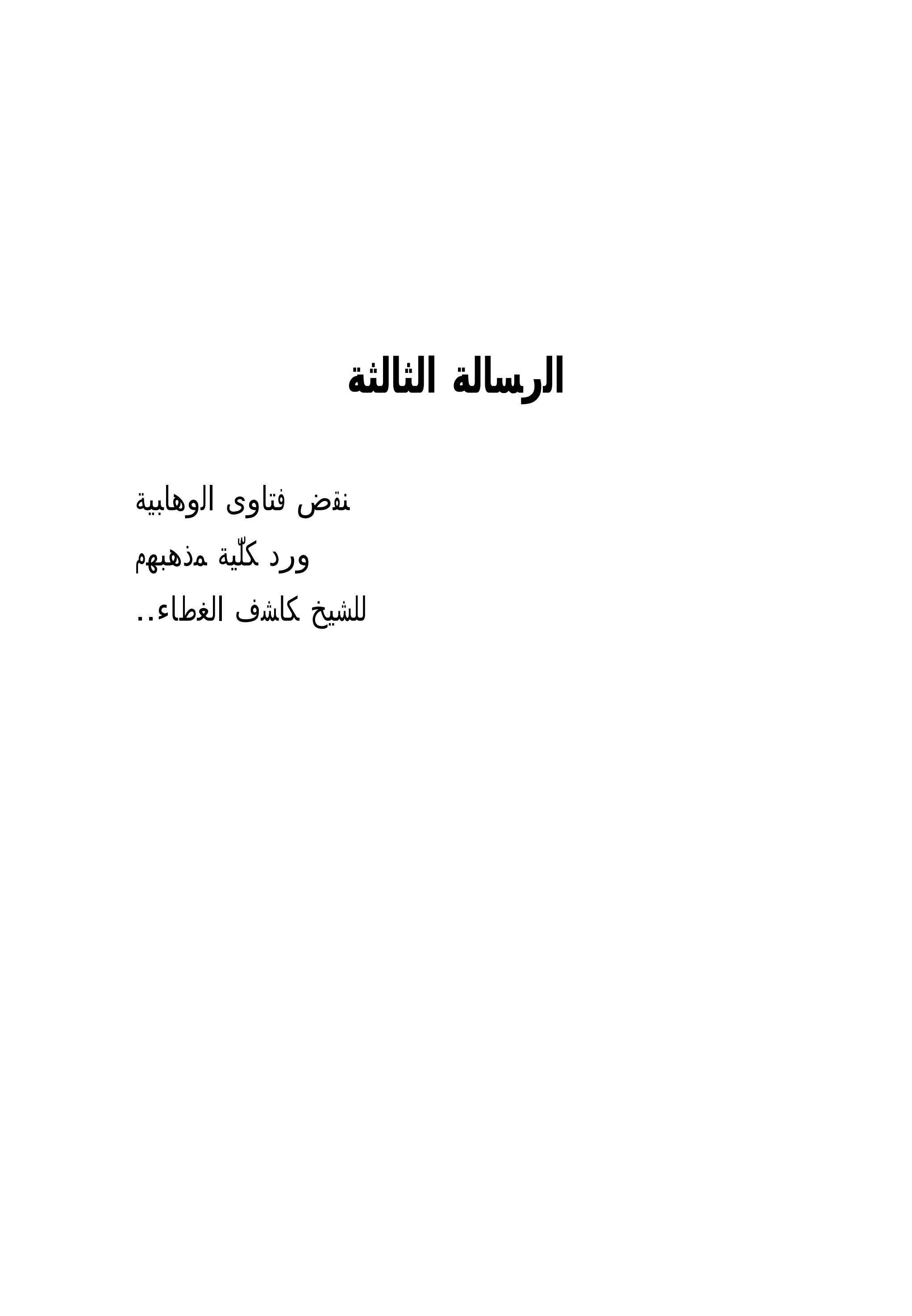
وهذا ختام الرسالة وأرجو أن ينفع ا بهـا. إنـه هـو المتفضل المنان.

---

[144]) مسند أحمد ٣/ ٣٥٦ و ٣٦٢. وسنن أبي داود ٣/ ٩٩ح ٢٨١٠ والترمذي: ٤/ ٩١ ح ١٥٠٥



وقد حصل الفراغ منها بيد الفقير إلى ا في ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول، سنة خمس وأربعين بعـد ألـف وثلاثمائة هجرية والحمد رب العالمين..

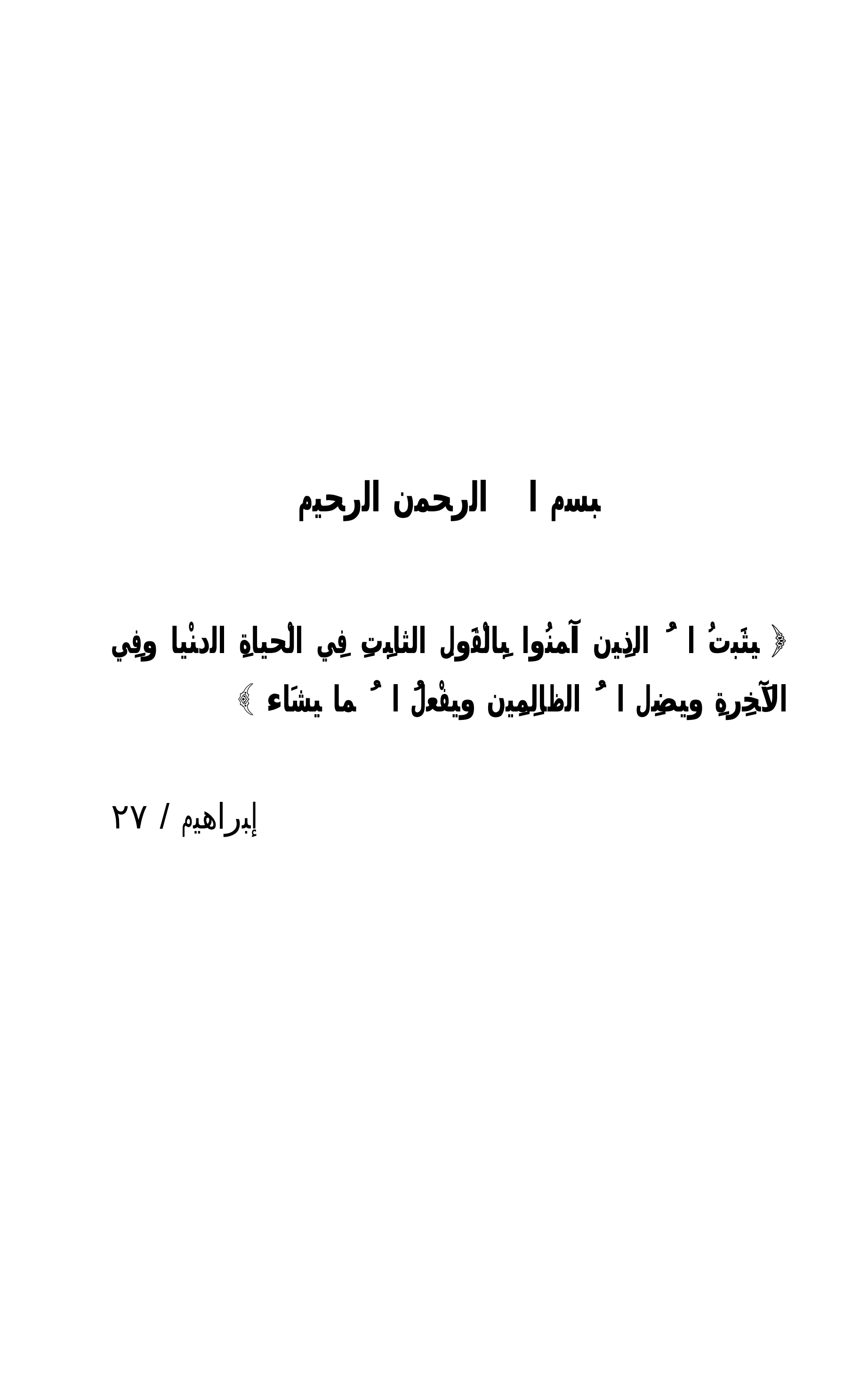


الرسالة الثالثة

نقض فتاوى الوهابية

ورد كلّية مذهبهم

للشيخ كاشف الغطاء..



بسم ا الرحمن الرحيم

﴿ يثَبتُ ا ُ الذِين آمنُوا بِالْقَولِ الثابِتِ فِي الْحياةِ الدنْيا وفِي الآخِرةِ ويضِلُ ا ُ الظالِمِين ويفْعلُ ا ُ ما يشَاء ﴾

إبراهيم / ٢٧

وقفنا من جريدة العراق في العدد الموافق منها ١٣ ذي القعدة سنة ١٣٤٤ هـ على سؤال قاضي قضاة الوهابيين ابن بليهد مستفتيا علماء المدينة عن البناء على القبور، واتخاذها مساجد، وإيقاد السرج عليها وما يفعل عند الضرائح، من التمسح والتقرب إليها بالذبائح والنذور، وتقبيلها، وعن التكبير والترحيم والتسليم في أوقات مخصوصة.

هذا ملخص السؤال وكان الجواب من علماء المدينة بالمنع مطلقا ووجوب الهدم، مستدلين على المنع في بعضها، ومرسلين الفتوى بغير دليل في الباقي.

وقد رغب إلينا الكثير من الأعلام والأفاضل في إبداء ملاحظتنا على تلك الفتوى، ووضعها في معيار الاختبار وميزان الصحة والسقم، وعرضها على محك النقد، ومطرقة القبول أو الرد، إيضاحا للحقيقة وطلبا للصواب، كي لا تعرض الأوهام والشكوك وتعلق الشبهة بأذهان البسطاء من المسلمين، فإن البلية عامة، والمصيبة شاملة، والرزية على الجميع عظيمة، وعليه فنذكر نص الفتوى جملة جملة حسبما ذكر في تلك الجريدة، ثم نعقّب كل جملة منها بما يحق لها من البيان، وبا   المستعان.

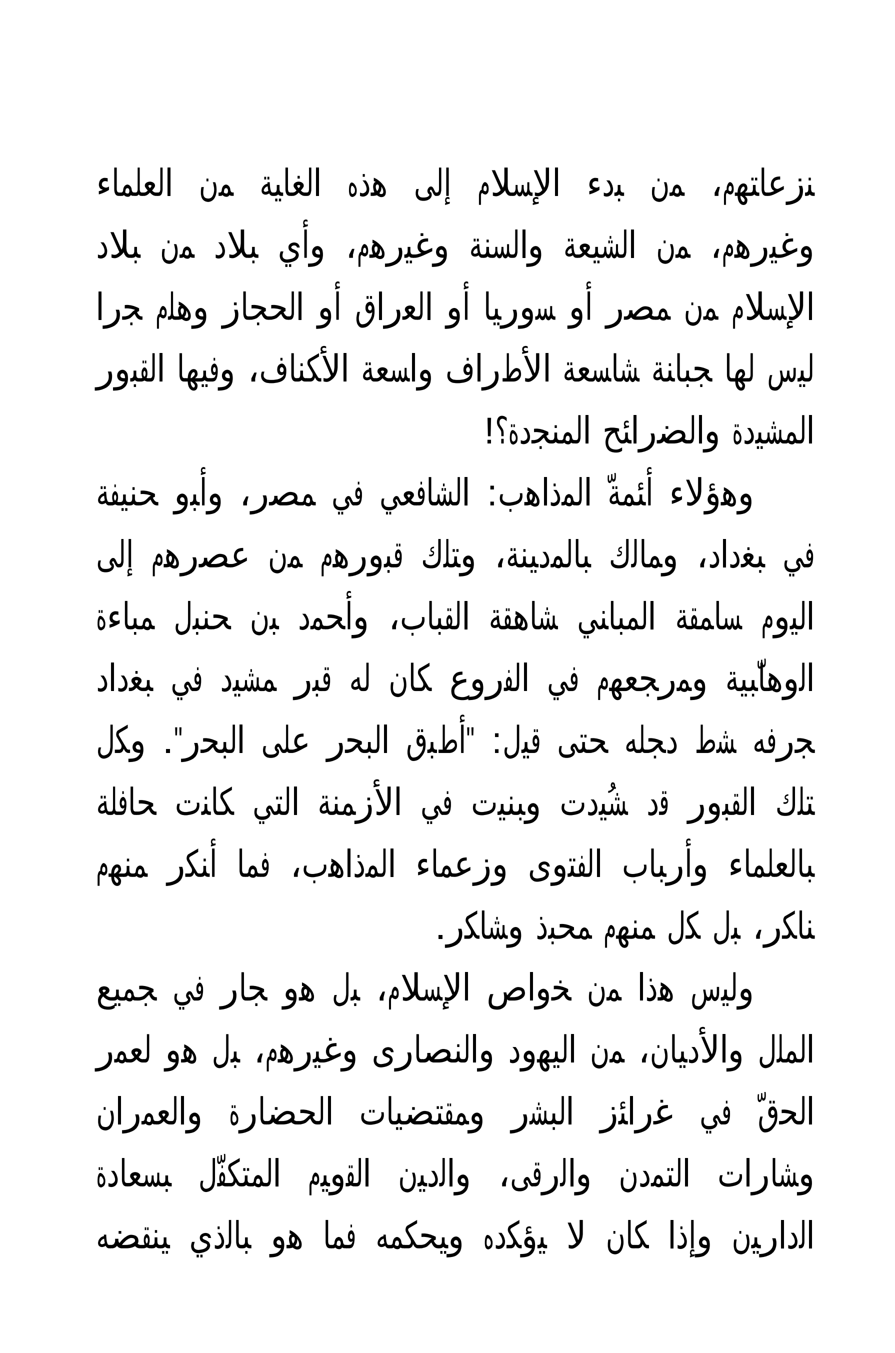
قالوا في الجواب: أما البناء على القبور فهو ممنوع إجماعا لصحة الأحاديث الواردة في منعه؛ وبهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه، مستندين على ذلك بحديث علي أنه قال لابن الهياج: "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول ا – صلى ا عليه وآله – ألا أدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرا مشرفًا إلا سويته"(١٤٥). انتهى.

فتراهم قد تمسكوا تارة بالإجماع، وأخرى بالحديث، أو بالإجماع المستند إلى الحديث.

أما دعوى الإجماع فهي مدحوضة مرفوضة ولكن لا تتّسع أعمدة الصحف والمجلات لنقل كلمات العلماء في جوازه، بل رجحانه، وفساد توهم الإجماع وبطلانه من أول الإسلام وإلى هذه الأيام، وأي حاجة بك إلى أن أسرد لك أو أُملي عليك ما يوجب الملل (قال فلان وقال فلان)، وهذا عمل المسلمين وسيرتهم القطعية في جميع الأقطار والأمصار ملء المسامع والأبصار، على اختلاف طبقاتهم وتباين

---

[145]) مسلم ٢/ ٦٦٦ باب ٣١ ح٩٣، مسند أحمد ١/ ٩٦ و ١٢٩، سنن النسائي ٤/ ٨٨ وفيه: ولا صورة في بيت إلا طمستها، سنن أبي داود ٣/ ٢١٥ ح ٣٢١٨، الجامع الصحيح للترمذي ٣/ ٣٦٦.



نزعاتهم، من بدء الإسلام إلى هذه الغاية من العلماء وغيرهم، من الشيعة والسنة وغيرهم، وأي بلاد من بلاد الإسلام من مصر أو سوريا أو العراق أو الحجاز وهلم جرا ليس لها جبانة شاسعة الأطراف واسعة الأكناف، وفيها القبور المشيدة والضرائح المنجدة؟!

وهؤلاء أئمةّ المذاهب: الشافعي في مصر، وأبو حنيفة في بغداد، ومالك بالمدينة، وتلك قبورهم من عصرهم إلى اليوم سامقة المباني شاهقة القباب، وأحمد بن حنبل مباءة الوهاّبية ومرجعهم في الفروع كان له قبر مشيد في بغداد جرفه شط دجله حتى قيل: "أطبق البحر على البحر". وكل تلك القبور قد شُيدت وبنيت في الأزمنة التي كانت حافلة بالعلماء وأرباب الفتوى وزعماء المذاهب، فما أنكر منهم ناكر، بل كل منهم محبذ وشاكر.

وليس هذا من خواص الإسلام، بل هو جار في جميع الملل والأديان، من اليهود والنصارى وغيرهم، بل هو لعمر الحقّ في غرائز البشر ومقتضيات الحضارة والعمران وشارات التمدن والرقى، والدين القويم المتكفّل بسعادة الدارين وإذا كان لا يؤكده ويحكمه فما هو بالذي ينقضه

ويهدمه، وإذا كان كل هذا لا يكفي شاهدا قاطعا بينًا على فساد دعوى الإجماع فخير أن تكسر الأقلام ويبطل الحجاج والخصام ولا يقوم على شيء دليل ولا بينة ولا حجة ولا برهان.

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

هذا حال الإجماع، أما حديث مسلم: "لا تدع تمثالا إلا طمسته، ولا قبرا مشرفًا إلا سويته" فها هي نسخة من مسلم بين يدي، طبع بولاق القديمة سنة ١٢٩٠، وقد روي الحديث المذكور صفحة ٢٦٥ ج١ في باب الأمر بتسوية القبر، ولكن بعد هذا بقليل صفحة ٢٥٦ قال: (باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها) وروى فيه بسنده إلى عائشة: إن النبي كان يخرج إلى البقيع فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين[١٤٦] إلى الآخر في حديثين طويلين.

وروى بعدهما بسنده إلى سليمان بن بريدة عن أبيه، قال: كان رسول ا صلى ا عليه وآله – يعلّمهم إذا خرجوا

---

146) مسلم ٢/ ٦٦٩ باب ٣٥ ح ١٠٢ و ١٠٣.

إلى المقابر فكان قائلهم يقول في رواية أبي بكر: السلام على أهل الديار[147].

وفي رواية زهير: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين والمسلمات وإنّا إن شاء ا للاحقون، أسأل ا لنا ولكم العاقبة. [148]

ثم بعد أن فرغ من هذا الباب قال تلوه: "باب استئذان النبي – صلى ا عليه وآله – ربه عز وجل في زيارة قبر أُمته" وروى فيه أربعة أحاديث صريحة في الأمر بزيارة القبور:

أولها: بسنده إلى أبي هريرة قال رسول ا – صلى ا عليه وآله - : استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنت أن أزور قبرها فأذن لي.. [149]

ثانيها: بسند آخر إلى أبي هريرة قال: قال رسول ا – صلى ا عليه وآله: استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن

---

[147]) مسلم ٢/ ٦٧١ باب ٣٥ ح ١٠٤.

[148]) مسلم ٢/ ٦٧١ باب ٣٥ ح ١٠٤.

[149]) مسلم ٢/ ٦٧١ باب ٣٥ ح ١٠٥.

لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنّها تذكر الموت[(١٥٠)]

ثالثها: بسنده عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وآله -: نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث فأمسكوا ما بدا[(١٥١)] لكم، إلى آخر الحديث..

رابعها: بسند آخر بالمعنى المتقدم أيضا.. [(١٥٢)]

وبين يدي كذلك كتابان جليلان لعالمين جليلين من كبار مشاهير علماء السنة والجماعة: أحدهما كتاب "شفاء السقام في زيارة خير الأنام" للإمام الحافظ قاضي قضاة المسلمين في القرن الثامن الشهير بتقي الدين أبي الحسن السبكي.

ويسمى أيضا بـ "شن الغارة على من أنكر فضل الزيارة".

وقد نشر هذا الكتاب ومثله للطبع سنة ١٣١٨ هـ في مطبعة بولاق لعالم الفن العلامة الجليل أحد أكابر علماء

---

[150]) مسلم ٢/ ٦٧١ باب ٣٥ ح ١٠٥.

[151]) مسلم ٢/ ٦٧١ باب ٣٥ ح ١٠٦.

[152]) مسلم ٢/ ٦٧١ باب ٣٥ ح ١٠٦.

مصر القاهرة الشيخ محمد بخيت المطبعي، رئيس المحكمة الشرعية العليا بمصر، وقد حضرنا دروسه بمصر سنة ١٣٣٩ هـ فوجدناه في أكثر العلوم بحرا مواجا، شعلة ذكاء وفهم، وإحاطة وحزم؛ ودفع إلينا جملة من مؤلفاته منها ذلك الكتاب الذي نشر في صدره مقدمة في بعض أحوال ابن تيمية مؤسس مذاهب الوهابية وبعض بدعه في الدين وتكفيره من جمهور علماء المسلمين، وقد أجاد في تلك المقدمة، وأحسن النظر في الموضوع وعلله، وأسبابه.

أما ذات كتاب الإمام السبكي فقد رتبه على عشرة أبواب:

الأول: في الأحاديث الواردة في الزيارة.

الثاني: في الأحاديث الدالة على ذلك وإن لم يكن فيها لفظ الزيارة.

الثالث: فيما ورد في السفر إليها.

الرابع: في نصوص العلماء على استحبابها.

الخامس: في كونها قربة.

السادس: في كون السفر لها قربة.

السابع: في دفع شبه الخصم وتتّبع كلماته.

الثامن: في التوسل والاستغاثة.

التاسع: في حياة الأنبياء.

العاشر: في الشفاعة.

وذكر في الباب الأول من الأحاديث الواردة في زيارة قبر النبي – صلى ا عليه وآله – وفضلها والحثّ عليها خمسة عشر حديثًا، وأطنب في تصحيح سند كل واحد منها، والبحث عن رجال السند وعلله فصحح أسانيد أكثرها، مثل: "من زار قبري وجبت له شفاعتي"[(١٥٣)]

وقد أفاض في البحث عن سند هذا الحديث في خمس أوراق وبمضمونه حديثان آخران مثل:

"من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي"[(١٥٤)]

---

153) سنن الدارقطنى ٢/ ٢٧٨ ح ١٩٤، الجامع للسيوطي – نقلاً عن البيهقي – ٢ / ٦٠٥ ح ٧٨١٥، كنز العمال ١٥ / ٦٥ ح ٤٢٨٥٣، وفاء الوفا ٤/ ١٣٣٦، الكامل لأبي أحمد بن عدي ٦ /٢٢٥٠، وأورد العلامة الأمينى في الغدير ٥/ ٩٣ – ٩٦ "٤١" مصدرا، فراجع.

154) سنن الدارقطنى ٢/ ٢٧٨ ح ١٩٢، سنن البيهقي ٥/ ٢٤٦، كنز العمال ٥/ ١٣٥ ح ١٢٣٨٦ و ١٥ / ٦٥١ ح ٤٢٥٨٢، وفاء الوفا ٤/ ١٣٤٠ وفيه: كان كمن زارني، الكامل لأبي أحمد بن عدي ٢/ ٧٩٠،

وأفاض في النظر والبحث عن سنده في أربع أوراق ومثل: "من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني"(١٥٥)

إلى أمثال ذلك من الأحاديث التي آخرها في هذا الباب:

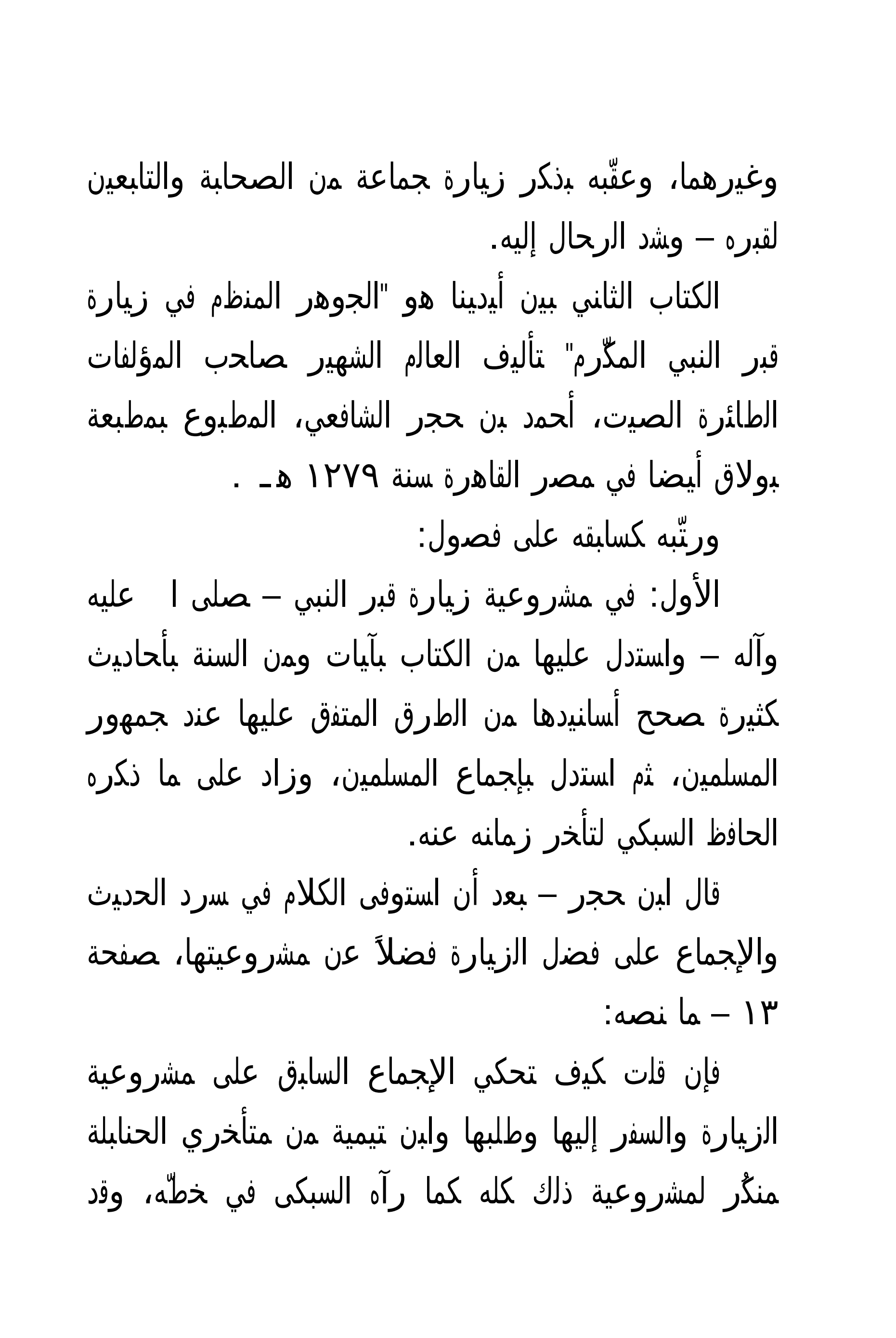
"من أتى المدينة زائرا لي وجبت له شفاعتي يوم القيامة" و"من مات في أحد الحرمين بعث آمنًا"(١٥٦).

ثم استوفى القول والحديث في الباب الثاني، ودخل بعده في الباب الثالث وذكر مفصلاً زيارة بلال من الشام التي هاجر إليها بعد وفاة النبي – صلى ا عليه وآله – وأنه رأى النبي في المنام وهو يقول له: "ما هذه الجفوة يا بلال، أما آن لك أن تزورني؟!" فانتبه حزينًا وجلاً، فركب راحلته وقصد المدينة فأتى قبر النبي – صلى ا عليه وآله – إلى آخر الحديث. وكان ذلك في زمن أكابر الصحابة كالشيخين

الجامع الصغير للسيوطي – نقلاً عن الطبراني – ٢/ ٥٩٤ ح ٨٦٢٨، وأورد العلامة الأميني في الغدير ٥/ ٩٩ – ١٠٠ "٩" مصادر، فراجع.

[155]) كنزل العمال ٥/ ١٣٥ ح ١٢٣٦٩، وفاء الوفاء ٤/ ١٣٤٢، شفاء السقام: ٢٣، وأورد الأميني "٩" مصادر في الغدير ٥/ ١٠٠.

[156]) وفاء الوفاء ٤/ ١٣٤٨، شفاء السقام: ٣٤، وقد أورد السبكى في شفاء السقام كل الأحاديث السابقة في الفصل الأول.


وغيرهما، وعقّبه بذكر زيارة جماعة من الصحابة والتابعين لقبره – وشد الرحال إليه.

الكتاب الثاني بين أيدينا هو "الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المكّرم" تأليف العالم الشهير صاحب المؤلفات الطائرة الصيت، أحمد بن حجر الشافعي، المطبوع بمطبعة بولاق أيضا في مصر القاهرة سنة ١٢٧٩ هـ .

ورتّبه كسابقه على فصول:

الأول: في مشروعية زيارة قبر النبي – صلى ا عليه وآله – واستدل عليها من الكتاب بآيات ومن السنة بأحاديث كثيرة صحح أسانيدها من الطرق المتفق عليها عند جمهور المسلمين، ثم استدل بإجماع المسلمين، وزاد على ما ذكره الحافظ السبكي لتأخر زمانه عنه.

قال ابن حجر – بعد أن استوفى الكلام في سرد الحديث والإجماع على فضل الزيارة فضلاً عن مشروعيتها، صفحة ١٣ – ما نصه:

فإن قلت كيف تحكي الإجماع السابق على مشروعية الزيارة والسفر إليها وطلبها وابن تيمية من متأخري الحنابلة منكّر لمشروعية ذلك كله كما رآه السبكى في خطّه، وقد

أطال ابن تيمية في الاستدلال لذلك بما تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع، بل زعم حرمة السفر لها إجماعا وأنه لا تقصر فيه الصلاة، وأن جميع الأحاديث الواردة فيها موضوعة، وتبعه بعض من تأخّر عنه من أهل مذهبه؟!

قلت: من هو ابن تيمية حتى ينظر إليه أو يعول في شيء من أمور الدين عليه؟! وهل هو إلا كما قال جماعة من الأئمة الذين تعقبوا كلماته الفاسدة؛ وحججه الكاسدة؛ حتى أظهروا عوار سقطاته وقبائح أوهامه وغلطاته؛ كالعز بن جماعة: عبد أضلّه ا تعالى وأغواه، وألبسه رداء الخزي وأرداه وبوأه من قوة الافتراء والكذب ما أعقبه الهوان؛ وأوجب له الحرمان.

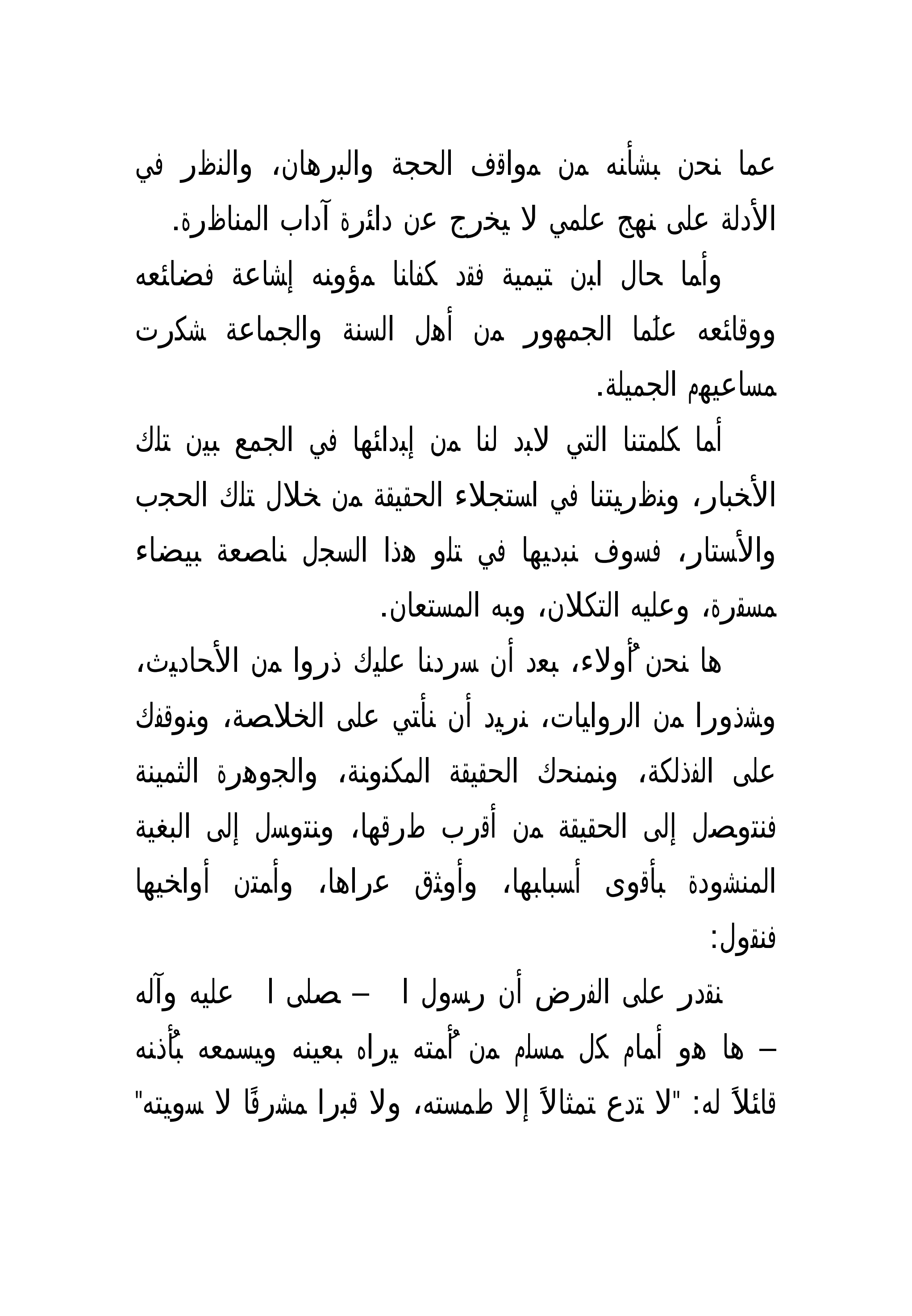
ولقد تصدى شيخ الإسلام، وعالم الأنام، المجمع على جلالته، واجتهاده وصلاحه وإمامته، التقي السبكي، قدس ا روحه، ونور ضريحه، للرد عليه في تصنيف مستقل أفاد فيه(١٥٧) وأجاد وأصاب وأوضح بباهر حججه طريق الصواب، ثم قال: هذا ما وقع من ابن تيمية مما ذكر، وإن كان عثرة لا تقال أبدا، ومصيبة يستمر شؤمها سرمدا، ليس

---

[157]) وكذا ناقشه في شفاء السقام في باب دفع شبهة الخصم ٩٨ –١١٥.

بعجيب، فإنه سولت له نفسه وهواه وشيطانه أنه ضرب مع المجتهدين بسهم صائب، وما درى المحروم أنه أتى بأقبح المعائب إذ خالف إجماعهم في مسائل كثيرة، وتدارك على أئمتهم سيما الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة شهيرة، حتى تجاوز إلى الجناب الأقدس المنزه سبحانه- عن كل نقص، والمستحق لكل كمال أنفس، فنسب إليه الكبائر والعظائم، وخرق سياج عظمته بما أظهره للعامة على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم وتضليل من لم يعتقد ذلك من المتقدمين والمتأخرين، حتى قام عليه علماء عصره، وألزموا السلطان بقتله أو حبسه وقهره، فحبسه إلى أن مات وخمدت تلك البدع، وزالت تلك الضلالات، ثم انتصر له أتباع لم يرفع ا لهم رأسا، ولم يظهر لهم جاها ولا بأسا، بل ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من ا ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، انتهى.

هذا بعض كلام ابن حجر العالم الذي ليس له في علماء السنّة مدافع، ولا ينازع في جلالة شأنه وعظيم فضله منازع، ولسنا الآن في صدد تعداد مثالب ابن تيمية وبدعه في الدين، وما أدخله من البلية على الإسلام والمسلمين، فإن ذلك خارج


عما نحن بشأنه من مواقف الحجة والبرهان، والنظر في الأدلة على نهج علمي لا يخرج عن دائرة آداب المناظرة.

وأما حال ابن تيمية فقد كفانا مؤونه إشاعة فضائعه ووقائعه علما الجمهور من أهل السنة والجماعة شكرت مساعيهم الجميلة.

أما كلمتنا التي لابد لنا من إبدائها في الجمع بين تلك الأخبار، ونظريتنا في استجلاء الحقيقة من خلال تلك الحجب والأستار، فسوف نبديها في تلو هذا السجل ناصعة بيضاء مسفرة، وعليه التكلان، وبه المستعان.

ها نحن أُولاء، بعد أن سردنا عليك ذروا من الأحاديث، وشذورا من الروايات، نريد أن نأتي على الخلاصة، ونوقفك على الفذلكة، ونمنحك الحقيقة المكنونة، والجوهرة الثمينة فنتوصل إلى الحقيقة من أقرب طرقها، ونتوسل إلى البغية المنشودة بأقوى أسبابها، وأوثق عراها، وأمتن أواخيها فنقول:

نقدر على الفرض أن رسول ا – صلى ا عليه وآله – ها هو أمام كل مسلم من أُمته يراه بعينه ويسمعه بأُذنه قائلاً له: "لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرا مشرفًا لا سويته"

بناء على صحة كل ما ورد في البخاري ومسلم إذ هذا الفرض – وإن كنّا لا نقول به – ولكن نجعله من الأصول الموضوعة بيننا – أعني به ما هو فصل النزاع وقاطع الخصومة – ومعلوم أن المتخاصمين إذا لم يكن فيما بينهما أصول موضوعة ينتهون إليها، ويقفون عندها، لا تكاد تنتهي سلسلة النزاع بينهما والتخاصم طول الأبد، وعمر الدهر، إذا فنحن على سبيل المجاراة والمساهلة مع الخصم نقول بصحة ذلك الحديث، كما يلزمنا معا أن نقول بصحة غيره من أحاديث البخاري ومسلم فها هو النبي – صلى ا عليه وآله – يقول: "لا تدع قبرا مشرقًا إلا سويته"، كما رواه مسلم..

ولكنه يقول حسب روايته أيضا: "فزوروا القبور فإنّها تذكّر الموت..".

و "استأذنت ربي في زيارة قبر أُمر فأذن لي"..

وقد زار هو قبور البقيع.

وعقد البخاري بابا لزيارة القبور.

فهل هذه الأحاديث متعارضة متناقضة؟!

النبي الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى يأمر بهدم القبور.. ويأمر بزيارتها..

يأمر بهدمها ثم هو يزورها..

فإن كان المقام من باب تعارض الأحاديث واختلاف الروايات وجب الجمع بينهما لا محالة، على ما تقتضيه صناعة الاجتهاد، وطريقة الاستنباط، وقواعد الفن المقررة في الأصول، بحمل الظاهر على الأظهر، وتأويل الضعيف من المتعارضين وصرفه إلى المعنى الموافق للقوي، فيكون القوي قرينة على التصرف في الضعيف، وإرادة خلاف ظاهره منه كما يعرفه أرباب هذه الصناعة، فهل المقام من هذا القبيل؟!

كلا ثم كلا، ومهلاً مهلاً: إن هذه الساقية ليست من ذلك النبع، وتلك القافية ما هي من ذلك السجع، وليس المقام من باب التعارض كي يحتاج إلى التأويل والجمع.

ما كنت أحسب أن أدنى من له حظّ من فهم التراكيب العربية والتصاريف اللغوية يخفي عليه الفرق بين "التسوية" و "المساواة"

إن الذين يصرفون قوله – عليه السلام - : "ولا تدع قبرا مشرفًا إلا سويته" إلى معنى ساويته بالأرض أي "هدمته"

أولئك قوم أيفت أفهامهم، وسخفت أذهانهم، وضلّت ألبابهم، ولم يكن من العربية لهم ولا قلامة ظفر فكيف بعلمائهم؟!

ولا يخفى على عوام العرب أن تسوية الشيء عبارة عن تعديل سطحه أو سطوحه، وتسطيحه في قبال تقعيره أو تحديبه أو تسمينه وما أشبه ذلك من المعاني المتقاربة(١٥٨) والألفاظ المترادفة، فمعنى قوله – صلى ا عليه وآله: "لا تدع قبرا مشرفًا – أي: مسنّما – إلا سويته – أي - سطّحته وعدلّته) وليس معناه: إلا هدمته وساويته بالأرض كي يعارض ما ورد من الحثّ على زيارة القبور واستحباب إتيانها، والترغيب في تشييدها، والتنويه بها، وذلك المعنى – أعني أن المراد من تسوية القبر تسطيحه وعدم تسنيمه – كان هو الذي فهمته من الحديث أول ما سمعته بادئ بدء وعند أول وهلة، ثم راجعت الكتاب – أعني مسلم – ونظرت الباب فوجدت صاحب مسلم قد فهم ما فهمناه من الحديث حيث عنوان الباب قائلاً: (باب تسوية القبور)..

وأورد فيه أولاً بسنده إلى تمامة قال: كنّا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة

---

[158]) معجم مقاييس اللغة ٣/ ١١٢ (سوى).

بقبره فسوى ثم قال: سمعت رسول ا   – صلى ا   عليه وآله – يأمر بتسويتها(١٥٩) ثم أورد بعده في نفس هذا الباب حديث أبي الهياج المتقدم: "ولا قبرا مشرقًا إلا سويته".

وكذلك فهم شارحو مسلم وإمامهم النووي الشهير، وها هو بين أيدينا يقول في شرح تلك الجملة النبوية ما نصه: فيه أن السنّة أن القبر لا يرفع عن الأرض رفعا كبيرا ولا يسنّم: بل يرفع نحو شبر، وهذا مذهب الشافعي ومن وافقه، ونقل القاضي عياض عن أكثر العلماء أن الأفضل عندهم تسنيمها(١٦٠). انتهى كلام النووي.

ويشهد لأفضلية التسنيم ما رواه البخاري في باب صفة النبي وأبي بكر وعمر بسنده إلى سفيان التمار أنه رأى قبر النبي – صلى ا   عليه وآله مسنّما(١٦١)...

ولكن القسطلاني أحد المشاهير من شارحي البخاري، شرحه في عشر مجلدات طبعت في مصر القاهرة، قال ما نصه: "مسنما" بضم الميم وتشديد النون المفتوحة أي:

---

159) مسلم ٢/ ٦٦٦ باب ٣١ح ٩٢.

160) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٤/ ٣٠١.

161) البخاري ٢/ ١٢٨.

مرتفعا، زاد أبو نعيم في مستخرجه: وقبر أبي بكر وعمر كذلك، واستدل به على أن المستحب تسنيم القبور، وهو قول أبي حنيفة[١٦٢] ومالك[١٦٣] وأحمد[١٦٤] والمزني وكثير من الشافعية..

وقال أكثر الشافعية[١٦٥] ونص عليه الشافعي: التسطيح أفضل من التسنيم لأنه – صلى ا عليه وآله – سطح قبر إبراهيم وفعله حجه لا فعل غيره[١٦٦].

وقول سفيان التمار لا حجة فيه – كما قال البيهقي – لاحتمال أن قبره – صلى ا عليه وآله – وقَبري صاحبيه لم تكن في الأزمنة الماضية مسنّمة[١٦٧].

وقد روى أبو داود بإسناد صحيح أن القاسم بن محمد ابن أبي بكر قال: دخلت على عائشة فقلت لها: اكشفي لي

---

162) المبسوط للسرخسي ٢/ ٦٢.

163) المنتقى ٢/ ٢٢.

164) المغني لابن قدامة ٢/ ٣٨٠.

165) المجموع ٥/ ٢٩٥.

166) الأُم ١/ ٢٧٣.

167) سنن البيهقي ٤/ ٤ وفيه – بعد أن نقل حديث التمار: وحديث القاسم أصح وأولى أن يكون محفوظًا.

عن قبر النبي – صلى ا عليه وآله – وصاحبيه فكشفت عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء، أي لا مرتفعة كثيرا ولا لاصقة بالأرض(١٦٨).

إلى أن قال القسطلاني الشارح: ولا يؤثر في أفضلّية التسطيح كونه صار شعار الروافض لأن السنة لا تترك بموافقة أهل البدع فيها! ولا يخالف ذلك قول علي أمرني رسول ا – صلى ا عليه وآله – أن لا أدع قبرا مشرفًا إلا سويته، لأنه لم يرد تسويته بالأرض وإنما أراد تسطيحه جمعا بين الأخبار، ونقله في المجموع عن الأصحاب(١٦٩).

انتهى ما أردنا نقله من شرح البخاري، وأنت ترى من جميع ما أحضرناه لديك وتلوناه عليك من كلمات أعاظم المسلمين وأساطين الدين من مراجع الحديث كالبخاري ومسلم، وأئمة المذاهب كأبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد، وأعلام العلماء وأهل الاجتهاد كالنووي وأمثاله، كلّهم متّفقون على مشروعية بناء القبور في زمن الوحي والرسالة، بل النبي صلى ا عليه وآله – بذاته بنى قبر ولده إبراهيم، إنما

---

[168]) سنن أبي داود ٣/ ٢١٥ ح ٣٢٢٠.

[169]) إرشاد الساري ٢/ ٤٧٧

الخلاف والنزاع فيما بينهم في أن الأفضل والأرجح تسطيح القبر أو تسنيمه؛ فالذاهبون إلى التسنيم يحتجون بحديث البخاري عن سفيان التمار أنه رأى قبر النبي صلى ا عليه وآله – مسنّما.

والعادلون إلى التسطيح يحتجون بتسطيح النبي قبر ولده إبراهيم، وصحيح القاسم بن محمد بن أبي بكر شاهد له، ولعل هذا الدليل هو الأرجح في ميزان الترجيح والتعديل، ولا يقدح فيه أنه صار من شعار الروافض وأهل البدع – كما قال شارح البخاري – فيما مر عليك نقله.

ولا يعنينا الآن الخوض في حديث الروافض وأنهم من أهل البدع أم لا، إنما الشأن في حديث "لا تدع قبرا مشرفا إلا سويته" وأحسب أنه قد تجلى لك بحيث يوشك أن يلمس بالأنامل، ويرى بباصرة العين أن معنى "سويته" عدلته وسطّحته في قبال سنّمته وحدبته، ويناسب هذا المعنى كل المناسبة التقييد بقوله "مشرفًا" فإن أصل الشرف لغة هو العلو بتسنيم مأخوذ من سنام البعير، وعليه فيحسن ذلك القيد، بل يلزم ويكون بلسان أهل العلم (قيدا احترازيا).

وبعد هذا كلّه فهل من قائل عنّي لذاك المفتي، مفتي علماء المدينة الذي أفتى بجواز هدم القبور أو وجوبه استنادا إلى ذلك الحديث: يا هذا! من أين جئت بتلك النظرية الحمقاء، والحجة العوجاء والبرهنة المعكوسة، والمزعمة المقلوبة التي ما وهمها واهم، ولا خطرت على ذهن جاهل فكيف بالعالم؟!

اللهم إلا أن يكون "ابن تيمية" أو بعض ذناباته فإن الرجل ترويجا لأباطيله، وتمشية لأضاليله حيث تعوزه الحجة والسند قمين بتحوير الحقائق، وقلب الأدلّة، والتلاعب بالحجج والبراهين تلاعبه بالدين "كما تلاعبت الصبيان بالأكر".

لا يا هذا إن الشمس لا تستر بالأكمام، وإن الحقّ لا يسحق بزخارف الكلام وسفاسف الأوهام.. إن حديث "لا تدع قبرا إلا سويته" دليل عليك لا لك، وحجة قاطعة لأضاليلك وقالعة لجذور أباطيلك، فإن معناه الذي لا يشك فيه إنسان من أهل اللسان "سويته أي: عدلته وسطّحته، لا ساويته وهدمته" وبهذا المعنى لا يكون معارضا لشيء من الأحاديث حتى يحوج من له حظ من صناعة الاستنباط إلى الجمع والتأويل، وهذا هو معناه بذاته وظاهر من نفس مفرداته

وتركيبه، لا الذي يحصل بعد الجمع كما يظهر من عبارة شارح البخاري المتقدمة.

نعم، لو أبيت إلا عن حمل "سويته" على معنى ساويته بالأرض وجاملناك على الفرض والتقدير حينئذ تجئ نوبة المعارضة ويلزم الصرف والتأويل، وحيث إن هذا الخبر بانفراده لا يكافئ الأخبار الصحيحة الصريحة الواردة في فضل زيارة القبور ومشروعية بنائها، حتى أن النبي صلّى ا عليه وآله – سطّح قبر إبراهيم، فاللازم صرفه إلى أن المراد: لا تدع قبرا مشرفًا قد اتخذوه للعبادة إلا سويته وهدمته.

ويدل على هذا المعنى الأخبار الكثيرة الواردة في البخاري[١٧٠] ومسلم من ذم اليهود والنصارى والحبشة حيث كانوا يتخذون على قبور صلحائهم تمثالاً لصاحب القبر فيعبدونه من دون ا ، ولعله إشارة إلى بعض طوائف اليهود والنصارى والحبشة؛ حيث كانوا كذلك في القديم فعدلوا واعتدلوا.

---

[170]) البخاري ٢/ ١١٤.

أما المسلمون من عهد النبي – صلى ا عليه وآله – إلى اليوم فليس منهم من يعبد صاحب القبر وإنما يعبدون ا وحده لا شريك له في تلك البقاع الكريمة المتضمنة لتلك الأجساد الشريفة، وبكل فرض وتقدير فالحديث يتملّص ويتبرأ أشد البراءة من الدلالة على جواز هدم القبور فكيف بالوجوب والأخبار التي ما عليها غبار مما ذكرناه، ومما لم نذكره ناطقة بمشروعية بنائها وإشادتها وأنها من تعظيم شعائر ا ومن يعظم شعائر ا فإنها من تقوى القلوب (١٧١)

تتمة:

طبعت في النجف الأشرف رسالة موسومة بـ "منهج الرشاد" لاسطوانة من أساطين الدين – الشيخ الأكبر كاشف الغطاء – الذي يعرف كل عارف أنه كان فاتحة السور من فرقان العزائم، وكوكب السحر في سماء العظائم، هو من أفذاذ الأعاظم الذين لا تنفلق ببيضة الدهر إلا عن واحد منهم، ثم تعقم عن الإتيان بثانيه إلا بعد مخض طويل من الأحقاب،

---

[171]) الحج: ٣٢.

من غر أياديه – وكم له في العلم من أياد غرر – تلك الرسالة التي رتبها على مقدمة وفصول، عقد كل فصل منها لدفع شبهة من شبهات الوهابية ودحضها بالأدلة القطعية، والأحاديث النبوية الثابتة من الطرق الصحيحة عند أهل السنة، على أن المقدمة وحدها كافية في قمع شبهاتهم، وقلع جذوم مذهبهم، وهدم أساس طريقتهم، وقد أبدع فيها غاية الإبداع، ومن بعض أبواب الرسالة: "الباب الرابع: في بناء قبور الأنبياء والأولياء" وأفاض في البيان إلى أن قال:

والأصل في بناء القباب وتعميرها ما رواه التبانى واعظ أهل الحجاز عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده الحسين، عن أبيه علي – عليه السلام – أن رسول ا – صلى ا عليه وآله – قال له: "لتقتلن في أرض العراق وتدفن بها، فقلت: يا رسول ا ، ما لمن زار قبورنا وعمرها وتعاهدها؟ فقال: يا أبا الحسن، إن ا جعل قبرك وقبر ولديك بقاعا من بقاع الجنة، وإن ا جعل قلوب نجباء من خلقه، وصفوة من عباده تحن إليكم، وتعمر قبوركم، ويكثرون زيارتها تقربا إلى ا تعالى ومودة منهم لرسوله"[١٧٢].

---

[172]) فرحة الغرى: ٧٧

ثم قال بعد إيراد تمام الحديث: ونُقل نحو ذلك أيضا في حديثين معتبرين، نقل أحدهما الوزير السعيد بسند، وثانيهما بسند آخر غير ذلك السند، ورواه أيضا محمد بن علي بن الفضل، انتهى.

والقصارى: أن النزاع بيننا معاشر المسلمين أجمع وبين سلطان نجد وأتباعه الذين يحكمون بضلالة سائر المسلمين أو بتكفيرهم، لو كان ينحسم وينتهي بإقامة الحجج والبراهين لجئنا بالقول المقنع البالغة، ويخضعون للأدلّة القاطعة، لملأنا الطوامير من الحجج الباهرة التي تترك الحق أضحى من ذكاء، وأجلى من صفحة السماء، ولكن سلطان نجد له حجتان قاطعتان عليهما يعتمد، وإليهما يستند، ولا فائدة إلا بمقابلتهما بمثلهما أو بأقوى منهما، وهما: الحسام البتّار، والدرهم والدينار، السيف والسنان، والأحمر الرنّان، هذا لقوم وذاك لآخرين:

أحدهما لأهل الصحف والمجلات في مصر وسوريا ونحوهما ليحبذوا أعماله الوحشية ويحسنوا همجيته التي تضعضع أركان كل مدينة.

والآخر لأعراب البوادي ولشرفاء الحجاز وأمثالهم من أُمراء العرب حيث تساعده الظروف – لا قدر ا .

إذا فأي فائدة في إطالة الكلام، وسرد الأحاديث ونضد الأدلّة، نعم، فيها تبصرة وتبيان لطالب الحقيقة المجردة عن كل خوف ورجاء، وحامل وتزلّف، ولكن أين هو ذلك الرجل الطالب للحقّ المجرد عن كل غرض؟! ولئن كان لوح الوجود غير خال منه ففيما ذكرناه غني له وكفاية.

أما أمير نجد وأجناده وقضاته ومن لفّ لفّهم الذين اتّخذوا تلك الدعوى والديانة وسيلة لامتداد سلطتهم، واتّساع سطوتهم، وضخامة ملكهم، فلسنا معهم في الخصام وإقامة الحجج إلا كإشراق الشمس على المستنقعات العميقة، في الأودية السحيقة، لا تزيدها تلك الأشعة إلا سخونة وعفونة وانتشار وباء في الهواء.

ليت قائلاً يقول لقاضي القضاء – بن بلهيد – ولمفتي علماء المدينة: أتراكم تعتقدون وتعتمدون على كل ما في مسلم، وتعملون بكل ما ورد من النصوص فيه؟ فإن كنتم كذلك فقد عقد مسلم بابا وأورد عدة أحاديث في أن الخلافة

لا تكون إلا في قريش، وأن الأئمة من قريش[١٧٣]، بأساليب من البيان، وأفانين من التعبير، وكلّها صريحة في أن الخلافة الحقّة المشروعة مخصوصة بتلك القبيلة.. ومثله، بل وأكثر منه في البخاري، وعليه فأين تكون خلافة أميركم ابن سعود؟ وكيف حال إمامته؟ أهي من قوله تعالى: **وجعلنا منهم أئمة** [١٧٤]؟!

أما من قوله تعالى لإبراهيم: **إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين** [١٧٥]

وحسبنا هذا القدر، إن اللبيب من الإشارة يفهم!

وأما حديث لعن رسول ا زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج[١٧٦] فهو نهي للنساء عن التبرج والخروج إلى المجتمعات وعن السجود على القبر، وهو مما لا يصدر من أحد من المسلمين، وعن إيقاد السرج عبثًا

---

[173]) البخاري ٩/ ٧٧ باب "أ" كتاب الأحكام، مسلم ٣/ ١٤٥١ – ١٤٥٤ باب "١" كتاب الإمارة.

[174]) السجدة: ٢٤.

[175]) البقرة: ١٢٤.

[176]) سنن أبي داود ٣/ ٢١٨ ح ٣٢٣٦.

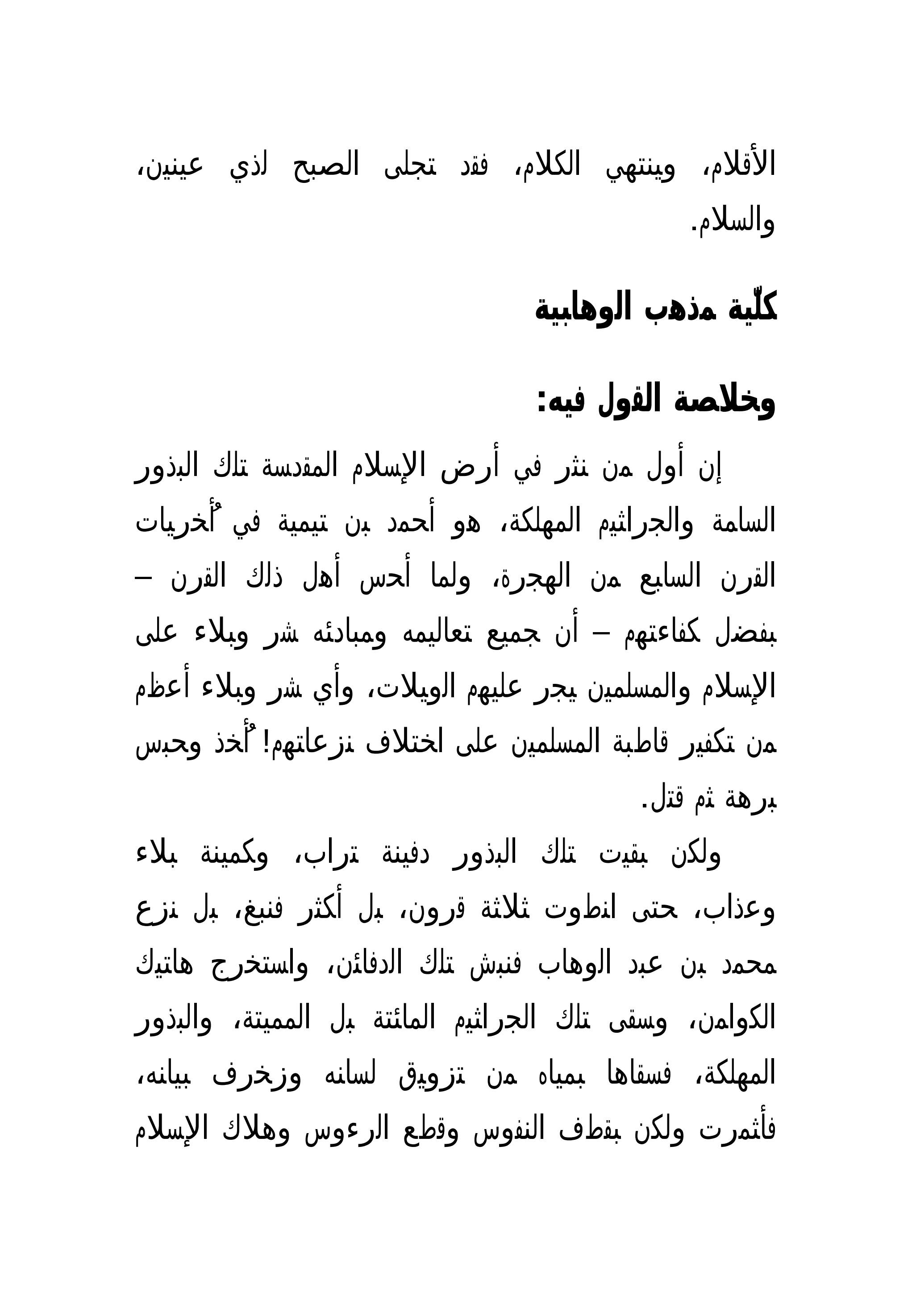
وتعظيما لذات القبر، أما الإسراج لقراءة القرآن والدعاء فلا منع ولا نهي، بل في بعض الأحاديث جوازه[١٧٧].

هذا كلّه في الجواب عن حديث مسلم في شأن هدم القبور وزيارتها والإسراج عليها، أما فتاوى مفتي علماء المدينة الأُخرى المتعلّقة بشأن التبرك بالقبور، والتمسيح بها، وزيارتها ونحو ذلك، فقد أفتى ذلك المفتي بالمنع منها مطلقًا، ولكن أرسل أكثر الفتاوى إرسالاً من غير أن يسندها إلى حجة أو يعمدها على دليل حتى نتصدى للجواب عنه. نعم، قال في آخرها – وما أصدق ما قال - : هذا ما أدى إليه نظري السقيم، انتهى. والسقم لا محالة إنما جاء من إحدى العلّتين اللتين مر ذكرهما أو من كليهما، نسأله تعالى العافية لنا ولجميع المسلمين.

وفي الرسالة – المنوه بذكرها من أمم – لكل واحدة من تلك المسائل فصل مستقل أثبت فيه من الطرق الصحيحة المعتبرة عند القوم مشروعيتها ورجحانها وعمل الصحابة والتابعين بها، فمن أراد فليراجع. وعلى هذا الحد فلتقف

---

[177]) مستدرك الحاكم ١/ ٣٧٤.



الأقلام، وينتهي الكلام، فقد تجلى الصبح لذي عينين، والسلام.

كلّية مذهب الوهابية

وخلاصة القول فيه:

إن أول من نثر في أرض الإسلام المقدسة تلك البذور السامة والجراثيم المهلكة، هو أحمد بن تيمية في أُخريات القرن السابع من الهجرة، ولما أحس أهل ذلك القرن – بفضل كفاءتهم – أن جميع تعاليمه ومبادئه شر وبلاء على الإسلام والمسلمين يجر عليهم الويلات، وأي شر وبلاء أعظم من تكفير قاطبة المسلمين على اختلاف نزعاتهم! أُخذ وحبس برهة ثم قتل.

ولكن بقيت تلك البذور دفينة تراب، وكمينة بلاء وعذاب، حتى انطوت ثلاثة قرون، بل أكثر فنبغ، بل نزع محمد بن عبد الوهاب فنبش تلك الدفائن، واستخرج هاتيك الكوامن، وسقى تلك الجراثيم المائتة بل المميتة، والبذور المهلكة، فسقاها بمياه من تزويق لسانه وزخرف بيانه، فأثمرت ولكن بقطاف النفوس وقطع الرءوس وهلاك الإسلام

والمسلمين ، وراجت تلك السلعة الكاسدة والأوهام الفاسدة، على أُمراء نجد واتّخذوها ظهيرا لما اعتادوا عليه من شن الغارات، ومداومة الحروب والغزوات من بعضهم على بعض، وقد نهاهم الفرقان المبين والسنة النبوية عن تلك العادات الوحشية، والأخلاق الجاهلية، بملء فمه وجوامع كلمه، وقد عقد بينهم الأُخوة الإسلامية، والمودة الإيمانية..

وقال: "مال المؤمن على المؤمن حرام كحرمة دمه وعرضه"(١٧٨)

وقل جل من قائل: **ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنًا (١٧٩)**

أراد ا سبحانه أن يجعلهم فيما بينهم إخوانًا وعلى العدو أعوانًا، أراد أن يكونوا يدا واحدة للاستظهار على الأغيار من أعداء الإسلام، فنقض ابن عبد الوهاب تلك القاعدة الأساسية والدعامة الإسلامية، وعكس الآية فصار

---

[178]) مضمون الحديث ورد في الكافي ٢/ ٢٦٨ ح٢، من لا يحضره الفقيه ٤/ ٣٠٠ ح ٩٠٩، مستدرك الوسائل ٩/ ١٣٦ ح ١٠٤٧، المؤمن: ٧٢ح ١٩٩. والحديث ورد في كتب السنن

[179]) السناء / ٩٤...

يكفر المسلمين ويضرب بعضهم ببعض، وما انجلت تلك الغيرة إلا وهم آلة بأيدي الأعداء ينقضون دعائم الدين، ويقتلون بهم المسلمين، ويصلون ما أمر ا بقطعه، ويقطعون ما أمر ا بوصله، فإذا طولبوا بالدليل والبرهان، وجاء حديث السنة والقرآن، فالجواب الشافي عنده السيف والسنان، والنَصف مع البغي والعدوان، والحقّ مع القوة والسطوة، والعدل والسواء، في الغلبة والاستيلاء.

نعم، ليس للقوم فيما وقفنا عليه من كتب أوائلهم وأواخرهم، وحاضرهم وغابرهم حجة عليها مسحة من العلم وأروعة من البيان، وطلاء من الحقيقة، سوى قولهم:

إن المسلمين في زيارتهم للقبور وطوافهم حولها واستغاثتهم بها وتوسل الزائر بالملحود في تلك المقابر قد صاروا كالمشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام، وأصبحوا يعبدون غير ا ليقربهم إلى ا تعالى كما حكى ا سبحانه في كتابه الكريم حيث يقول عنهم: **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى ا زلفى** (١٨٠)

---

[180]) الزمر: ٣.

فلم يقبل ا منهم تلك المعذرة، ولا أخرجهم ذلك الزعم من حدود الشرك والضلالة.

هذه هي ّأم شبهاتهم، وُأس احتجاجاتهم، وأقوى براهينهم ودلالاتهم، وإليها ترجع جميع مؤاخذاتهم على غيرهم من طوائف المسلمين من مسألة الشفاعة والتوسل، والتبرك والزيارة، وتشييد القبور، إلى كثير من أمثال ذلك مما يزعمون أنه عبادة لغير ا ، وهو على حد الشرك با ، تعالى ا عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

وأنا أقول: لعمر ا والحقّ ما أكبر جهلهم! وأضل في تلك المزاعم عقلهم وليت شعري من أين صح ذلك القياس والتشبيه؟!

تشبيه المسلمين بالمشركين وقياسهم بهم مع وضوح الفرق في البين فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام لتقربهم إلى ا زلفى كما هو صريح الآية، والمسلمون لا يعبدون القبور ولا أربابها، بل يعبدون ا وحده لا شريك له عند تلك القبور.

والقياس الصحيح والتشبيه الوجيه، قياس زائري القبور والطائفين حولها بالطائفين حول الكعبة البيت الحرام وبين الصفا والمروة.

إن الصفا والمروة من شعائر ا فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما (١٨١) فالطائف حول البيت، والساعي بين الصفا والمروة لم يعبد الكعبة وأحجارها، ولا الصفا والمروة ومنارها، وإنما يعبد ا سبحانه في تلك البقاع المقدسة، وحول تلك الهياكل الشريفة التي شرفها ا ودعا عباده إلى عبادته فيها، وهكذا زائر القبور.

هذا هو القياس الصحيح والميزان العدل، أما القياس بالميزان الأول ففيه عين بل عيون، لا بل هو خبط وجنون.

أليس من الجنون قياس من يعبد ا موحدا له بمن يعبد الأصنام مشركًا لها مع ا جل شأنه؟!

وكشف النقاب عن محيا هذه الحقيقة الستيرة، بحيث تبدو للناظرين ناصعة مستنيرة، موقوف على بيان حقيقة العبادة وكنه معناها، ولو على سبيل الإيجاز حسب اقتضاء

---

[181]) البقرة: ١٥٨.

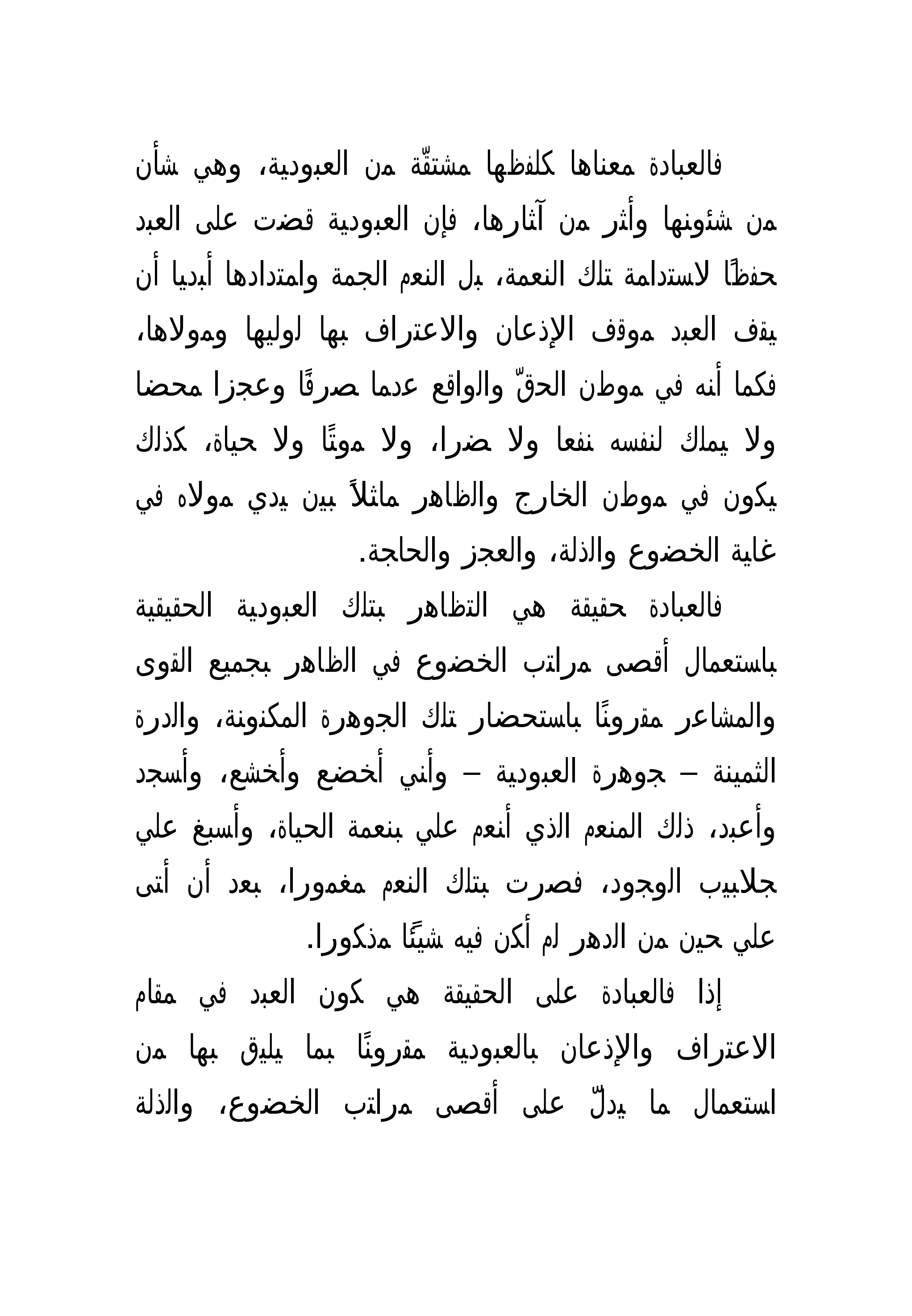
هذه العجالة التي جرى بها اللسان متدافعا تدافع الآتي من غير وقفة ولا أناة، ولا مراجعة ولا مهل.

إن حقيقة العبادة ومصاص معناها، وكنه روحها ومغزاها بعد كونها مأخوذة بحسب الاشتقاق من العبد والعبودية، وليس العبد في الحقيقة وطباق نفس الأمر والواقع ما ملكته بالاغتنام أو الشراء أو غيرهما من الأسباب، ولا السيد والمولى من تولى عليك بالغلبة والقهر، أو المصانعة والخداع، إنما السيد من أنعم عليك بنعمة الحياة، وخلع عليك بعد العدم خلعة الوجود، ورباك في بواطن الأصلاب وبطون الأرحام ستيرا، لا تراك سوى عينه، ولا ترعاك سوى عنايته، فذاك هو الرب والمالك والسيد حقيقة من غير تسامح في المعنى ولا تجوز في اللفظ، وأنت ذلك العبد المملوك بحقيقة العبودية المربوب بنعمة الإيجاد والتكوين، والصنع والخلق، وقد اقتضت تلك العبودية، حسب النواميس العقلية، والاعتبار والروية، المعزى إليها بقوله عز شأنه:

وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون [(١٨٢)]

---

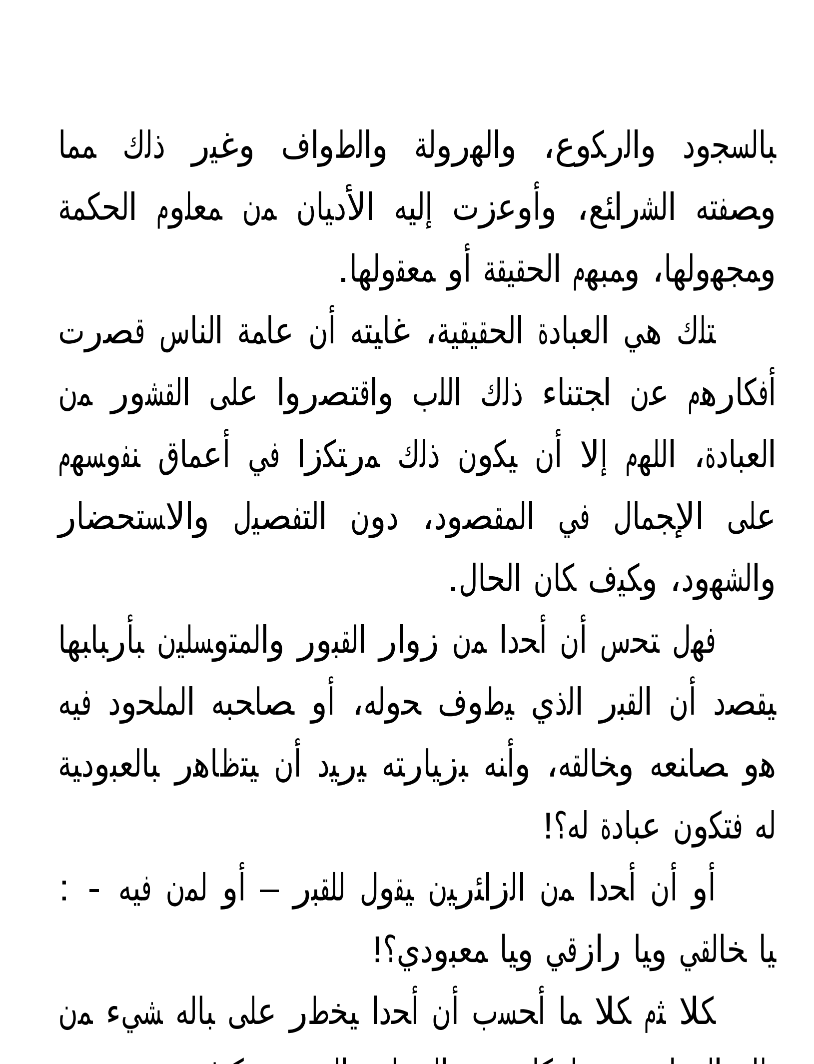
[182]) الذاريات: ٥٦.



فالعبادة معناها كلفظها مشتقّة من العبودية، وهي شأن من شئونها وأثر من آثارها، فإن العبودية قضت على العبد حفظًا لاستدامة تلك النعمة، بل النعم الجمة وامتدادها أبديا أن يقف العبد موقف الإذعان والاعتراف بها لوليها ومولاها، فكما أنه في موطن الحقّ والواقع عدما صرفًا وعجزا محضا ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ولا موتًا ولا حياة، كذلك يكون في موطن الخارج والظاهر ماثلاً بين يدي مولاه في غاية الخضوع والذلة، والعجز والحاجة.

فالعبادة حقيقة هي التظاهر بتلك العبودية الحقيقية باستعمال أقصى مراتب الخضوع في الظاهر بجميع القوى والمشاعر مقرونًا باستحضار تلك الجوهرة المكنونة، والدرة الثمينة – جوهرة العبودية – وأني أخضع وأخشع، وأسجد وأعبد، ذلك المنعم الذي أنعم علي بنعمة الحياة، وأسبغ علي جلابيب الوجود، فصرت بتلك النعم مغمورا، بعد أن أتى علي حين من الدهر لم أكن فيه شيئًا مذكورا.

إذا فالعبادة على الحقيقة هي كون العبد في مقام الاعتراف والإذعان بالعبودية مقرونًا بما يليق بها من استعمال ما يدلّ على أقصى مراتب الخضوع، والذلة



بالسجود والركوع، والهرولة والطواف وغير ذلك مما وصفته الشرائع، وأوعزت إليه الأديان من معلوم الحكمة ومجهولها، ومبهم الحقيقة أو معقولها.

تلك هي العبادة الحقيقية، غايته أن عامة الناس قصرت أفكارهم عن اجتناء ذلك اللب واقتصروا على القشور من العبادة، اللهم إلا أن يكون ذلك مرتكزا في أعماق نفوسهم على الإجمال في المقصود، دون التفصيل والاستحضار والشهود، وكيف كان الحال.

فهل تحس أن أحدا من زوار القبور والمتوسلين بأربابها يقصد أن القبر الذي يطوف حوله، أو صاحبه الملحود فيه هو صانعه وخالقه، وأنه بزيارته يريد أن يتظاهر بالعبودية له فتكون عبادة له؟!

أو أن أحدا من الزائرين يقول للقبر – أو لمن فيه - : يا خالقي ويا رازقي ويا معبودي؟!

كلا ثم كلا ما أحسب أن أحدا يخطر على باله شيء من تلك المعاني مهما كان من الجهل والهمجية كيف وهو يعتقد أن صاحب القبر بشر مثله عاش ومات وأصبح رميما رفاتًا. نعم، يعتقد أن روحه باقية عند ا – جل شأنه – فهو بها

يسمع ويرى **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل ا أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون** [183]

ونظرا إلى تلك الحياة يخاطبه ويسلّم عليه ويتوسل إلى ا سبحانه به ويطلب الشفاعة منه.

وبعد هذا كله فهل تجد من الحق والإنصاف تشبيه الزائرين بعبدة الأصنام وهذه منابرهم ومنائرهم ومشاعرهم تضج في الأوقات الخمس بل في أكثر الأوقات بشهادة أن لا إله إلا ا ويلهجون بأنه لا معبود إلا ا ؟!

فهل ذلك القول إلا قول مجادل بالباطل يريد أن يدحض به الحقّ، ويلقح شرر الفساد في الأرض، ويريق دماء المسلمين ظلما وعدوانًا؟! ومما ذكرنا من معنى العبادة وحقيقة معناها يتّضح أنه لا شيء من تلك العناوين الممنوعة عند الوهابية، من الشفاعة والوسيلة، والتبرك والاستغاثة والزيارة وأمثالها، له مسيس بالعبادة بوجه من الوجوه، هذا مضافًا إلى صدوره من النبي وأصحابه والتابعين الواردة في صحيح الأخبار من البخاري ومسلم وغيرها..

---

[183]) آل عمران: ١٦٩.

وإنما جلّ الغرض تنبيه الوهابيين وغيرهم من المسلمين على موضع الزلّة ومدخل الشبهة وخطل الرأي، وأن الصريمة والغريمة اليوم، والواجب، بل الأهم من كل واجب هو وحدة المسلمين وتكاتفهم، فإن الجميع موحدون فحبذا لو أصبحوا والجميع متّحدون، ولا يحسبون أن بقاء سلطتهم ونعيمهم بأن يضرب بعضهم بعضا ويتعادى بضعهم على بعض، بل هذا أدعى لفشلهم وقرب أجلهم.

وليعلم الوهابيون علما جازما لكل وهم وشبهة أن اليد التي أصبحت تضرب بهم المسلمين اليوم سوف تضربهم بغيرها غدا فلينتبهوا ولينتهوا قبل أن يقعوا في حفائر السياسة السحيقة ومهاويها العميقة.

وإلى ا سبحانه نضرع راغبين إليه وحده في أن يجمع الكلمة ويؤلّف شمل الأُمة ويوقظهم من سنة هذه الغفلة التي أوشكت أن تكون قاضيا عليهم أجمع، وإلى ا تصير الأمور ومنه البعث وإليه النشور.

ملاحق

ملحق

نماذج من الكتب التي ترد على الوهابية

(١) الأصول الأربعة في ترديد الوهابية: الخواجة السرهندي.

(٢) إظهار العقوق ممن منع التوسل بالنبي والولي الصدوق: الشيخ المشرفي المالكي الجزائري.

(٣) الأقوال المرضية في الرد على الوهابية: للشيخ عطا ا الدمشقي.

(٤) الانتصار للأولياء الأبرار: الشيخ طاهر سنبل الحنفي.

(٥) الأوراق البغدادية في الحوادث النجدية: الشيخ إبراهيم الراوي.

(٦) البراهين الساطعة: الشيخ سلامة العزامى.

(٧) البصائر لمنكري التوسل: الشيخ حمد ا الداجوي.

(٨) تاريخ آل سعود: ناصر السعيد.

(٩) تجريد سيف الجهاد لمدعي الاجتهاد: الشيخ عبد ا
ابن عبد اللطيف الشافعي.

(١٠) تحريض الأغبياء على الاستغاثة بالأنبياء والأولياء: الشيخ عبد ا ميرغيني..

(١١) تهكّم المقلّدين بمن ادعى تجديد الدين: الشيخ المحقق محمد بن عبد الرحمن الحنبلي.

(١٢) التوسل بالنبي وبالصالحين: أبو حامد بن مرزوق.

(١٣) جلال الحقّ في كشف أحوال شرار الخلق: الشيخ إبراهيم حلمي.

(١٤) الحقائق الإسلامية في الرد على المزاعم الوهابية بأدلة الكتاب والسنة النبوية: مالك داود.

(١٥) خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام: السيد أحمد بن زيني دحلان.

(١٦) الدرر السنّية في الرد على الوهابية: السيد أحمد بن زيني دحلان.

(١٧) رد علي محمد بن عبد الوهاب: الشيخ إسماعيل التميمي المالكي التونسي.

(١٨) الرد على الوهابية: الفقيه الحنبلي عبد المحسن الأشقيري.

(١٩) رد على الوهابية: الشيخ إبراهيم بن عبد القادر الرياحي التونسي المالكي.

(٢٠) رسائل في الرد على الوهابية: وهي رسائل كثيرة يصعب إحصاؤها، وفي طليعتها رسائل المعاصرين لمحمد بن عبد الوهاب و بالخصوص ما كتبه فقهاء الحنابلة في الرد عليه. وقد ورد الكثير من هذه الرسائل في كتاب: (التوسل بالنبي وبالصالحين) لأبي حامد مرزوق وكتاب (الدرر السنّية في الرد على الوهابية) لأحمد بن زيني دحلان، وكتاب (علماء المسلمين والوهابيون) للأستاذ حسين حلمي إيشيق.

(٢١) سعادة الدارين في الرد على الفرقتين الوهابية ومقلدة ظاهرية: الشيخ إبراهيم بن عثمان السمنودي المصري.

(٢٢) السيف الباتر لعنق المنكر على الأكابر: أبو حامد مرزوق.

(٢٣) سيف الجبار المسلول على أعداء الأبـرار: شاه فضل رسول القادري.

(٢٤) صلح الإخوان في الرد على من قال بالشرك والكفران: الشيخ داود بن سليمان البغدادي.

(٢٥) الصواعق الإلهية في الرد على مـن قـال بالشرك والكفران: الشيخ داود بن سيلمان البغدادي.

(٢٦) الفجر الصـادق: الشـيخ جميـل صـدقي الزهاوي.

(٢٧) كشف الارتيـاب فـي اتبـاع محمـد بـن عبد الوهاب: للسيد محسن الأمين.

(٢٨) ابن باز فقيه آل سعود: صالح الورداني..

(٢٩) فصل الخطاب في الرد علـى محمـد بـن عبد الوهاب: الشيخ سليمان بن عبد الوهاب شـقيق محمد بن عبد الوهاب.

(٣٠) هذي هي الوهابية: الشيخ محمد جواد مغنية.

(٣١) البراهين الجلية في رفع التشكيكات الوهابية: السيد محمد حسن القزويني.

(٣٢) النقول الشرعية في الـرد علـى الوهابيـة: الشيخ مصطفى الشطي الحنبلي.

(٣٣) السيف الهندي فـي إبانـة طريقـة الشـيخ النجدي: عيسى الصنعاني.

(٣٤) الوهابية في الميزان.

(٣٥) المنحة الوهبية في رد الوهابية: الشـيخ داود البغدادي.

(٣٦) فصل الخطاب في رد ضلالات محمـد بـن عبد الوهاب: أحمد القباني.

(٣٧) المقالات الوفية في الرد على الوهابية: الشيخ حسن خزبك..

(٣٨) جلاء الظلام في الرد على النجـدي الـذي أضل العوام: للسيد علوي الحداد...

ملحق

نماذج من جرائم الوهابيين

- في عام ١٢١٦ هـ (١٨٠١م) قامت مجموعات البدو الوهابيين بغزو مدينة كربلاء بالعراق وخربوا مرقد الحسين وأشعلوا النيران بالمدينة وقتلوا المئات من الشيوخ والنساء والأطفال ونهبوا المساجد والبيوت.. وقدر عدد القتلى بأكثر من ألف شخص..

- وفي عام ١٢١٧ هـ هاجم البدو الوهابيون مدينة الطائف وقتلوا الكثير من أهلها ثم نهبوها بعد أن هدموا الكثير من بيوتها ومحلاتها..

- وفي عام ١٢١٨ هـ غزت قوات الوهابيين مكة المكرمة وقتلت الكثير من الفقهاء والأشراف والعامة بعد حصار دفع المسلمين فيها إلى أكل القطط والكلاب والحيوانات الأخرى وفرار من بقى على قيد الحياة منها خوفًا من الوهابيين.

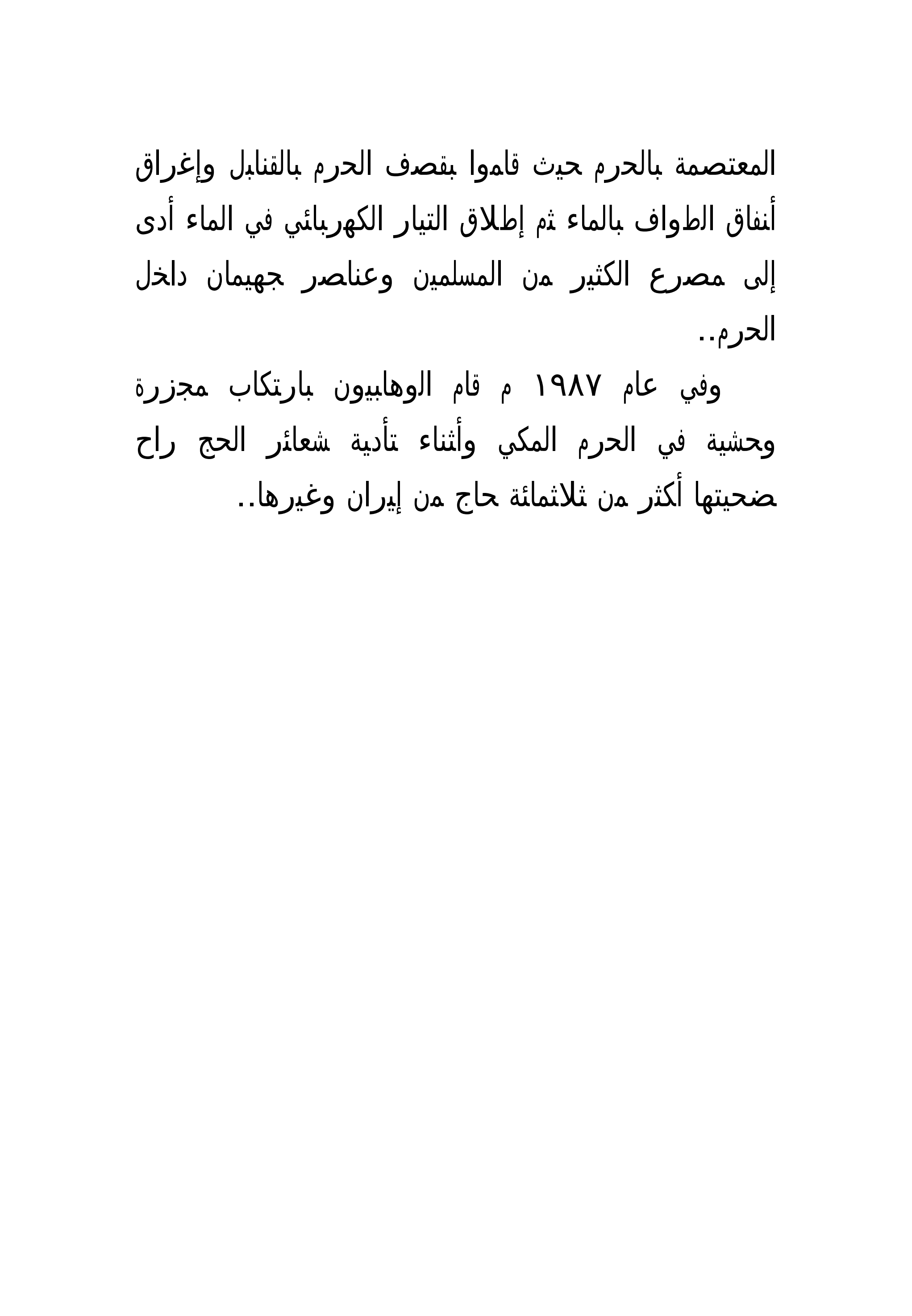
- وفي عام ١٢٢٠ هـ اقتحم الوهابيون مدينة الرسول (ص) بعد حصار طويل استمر أكثر من عام ونصف. وتم الاستيلاء على محتويات مسجد الرسول من نفائس وفرش وخلافه ومنع المسلمين من زيارة قبر الرسول (ص)..

- وفي عام ١٢٢٥ هـ زحف الوهابيون على حوران بالشام وقتلوا الكثير من المسلمين ثم سبوا النساء والأطفال وأحرقوا المحاصيل والبيوت..

- وفي عام ١٢٤٤ هـ قام الوهابيون بهدم مقابر آل البيت في البقيع ومدينة رسول ا (ص) فهدموا قبر السيدة فاطمة الزهراء والإمام الحسن والإمام زين العابدين والإمام محمد الباقر بن علي بن الحسين والإمام جعفر الصادق بن الباقر (ع)..

- وافي أثناء حملات البدو الوهابيين للاستيلاء على جزيرة العرب والسيطرة على الإحساء والحجاز والحرمين تم إحراق الكثير من الكتب والمكتبات وتدمير الكثير من الأضرحة..

- وفي عام ١٩٧٩ م استعان الوهابيون بالقوات الفرنسية الصليبية وغيرها لإخراج جماعة جهيمان العتيبي



المعتصمة بالحرم حيث قاموا بقصف الحرم بالقنابل وإغراق أنفاق الطواف بالماء ثم إطلاق التيار الكهربائي في الماء أدى إلى مصرع الكثير من المسلمين وعناصر جهيمان داخل الحرم..

وفي عام ١٩٨٧ م قام الوهابيون بارتكاب مجزرة وحشية في الحرم المكي وأثناء تأدية شعائر الحج راح ضحيتها أكثر من ثلاثمائة حاج من إيران وغيرها..

ملحق [•]

فتاوى وهابية

- فتوى في استحلال دماء وأموال أهل الأضرحة والقباب وجواز قتالهم باعتبارهم مشركين..

- فتوى في وجوب هدم القباب والأضرحة ولا الظروف لهدموا قبر الرسول (ص)..

- فتوى في كفر من قال بخلاف مقالتهم في أسماء ا وصفاته..

- فتوى بحرمة الصور والتماثيل والآثار..

- فتوى بحرمة الدخان والملابس الإفرنجية والعطور والبنوك والغناء والموسيقى ومشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله وكشف وجهها وقيادتها للسيارات..

[•] انظر مجموع فتاوى ومقالات ابن باز وفتاوى ابن عثيمين تلميذ ابن باز وفتاوى هيئة كبار العلماء وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في دولة الوهابيين.. وهي تحت الطلب تهدى ولا تباع..

- فتوى بحرمة التعامل مع الصوفية والشـيعة وعـدم جواز أكل ذبائحهم ومناكحتهم..

- فتوى في كفر من يسخر أو يهزأ بالوهابيين..

- فتوى في كفر تارك الصلاة وعدم جواز دفنـه فـي مقابر المسلمين وعدم جواز مناكحته وأكل ذبيحته ودخولـه البلد الحرام (مكة) وحرمانه من الميراث والتعامل معه..

- فتوى بحرمة القوانين الوضعية وعدم جواز تدريسها.

- فتوى في استحلال دماء وأموال النصـارى وعـدم التعامل معهم..

- فتوى بردة المجتمعات المعاصرة عن الإسلام..

- فتوى بحرمة الأفكار القومية والاشتراكية والعلمانيـة وردة معتنقيها..

- فتوى بحرمة المنطق والفلسفة والدعوة إليهما..

- فتوى بإنكار دوران الأرض وصعود القمر..

- فتوى بجواز الصلح مع الكيان الصهيوني والاعتراف به.

فتوى في جواز الاستعانة بالأمريكان والإنجليز وجواز إقامة قواعد لهم في الجزيرة العربية والخليج.

ملحق

نماذج من الكتب الوهابية

المنتشرة بين المسلمين اليوم..

مسائل الجاهلية

التوحيد الذي هو حق ا   على العبيد..

كشف الشبهات في التوحيد..

الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة..

مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد..

تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين..

تطهير الاعتقاد عن أدران الشرك والإلحاد.

إيضاح مشابهة المشركين..

إرشاد المسلمين في الرد على القبوريين..

تعليم الصبيان التوحيد..

العقيدة الصحيحة وما يضادها..

التحذير من البدع..

التوسل والوسيلة..

كيف نفهم التوحيد..

تطهير الجنان والأركان من درن الشرك والكفران..

الحسام الماحق لكل مشرك منافق

فصل البيان في نواقض الإسلام والإيمان..

تطهير المجتمعات من أرجاس الموبقات..

حكم بناء الكنائس والمعابد الشركية في بلاد المسلمين..

مؤلفات صالح الورداني

- ❖ الحركة الإسلامية في مصر: الواقع والتحديات.
- ❖ مذكرات معتقل سياسي: ثلاث سنوات تحت التعذيب.
- ❖ الشيعة في مصر: من الإمام علي حتى الإمام الخميني..
- ❖ عقائد السنة وعقائد الشيعة: التقارب والتباعد.
- ❖ مصر وإيران: صراع الأمن والسياسة.
- ❖ الخدعة: رحلتي من السنة إلى الشيعة.
- ❖ فقهاء النفط: راية الإسلام أم راية آل سعود.
- ❖ السيف والسياسة: إسلام السنة أم إسلام الشيعة.
- ❖ موسوعة آل البيت (في أجزاء)
- ❖ زواج المتعة حلال..
- ❖ أهل السنة شعب ا المختار..
- ❖ الكلمة والسيف: محنة الرأي في تاريخ المسلمين
- ❖ ابن باز: فقيه آل سعود.
- ❖ دفاع عن الرسول: ضد الفقهاء والمحدثين..

وتحت الطبع

- فقه الهزيمة: دراسة في أصول الفكر السلفي.
- العقل المسلم بين أغلال السلف وأوهام الخلف.
- مصارع الحكام في تاريخ الإسلام.
- الأزهر والحكام..
- الميزان الجلي بين أبي بكر وعلي..
- السلفيون والشيعة..
- دفاع عن القرآن..
- أحاديث نبوية اخترعها الساسة..
- الإمام علي: سيف ا المسلول.
- النص والسياسة: إسلام القرآن أم إسلام الروايات..
- فرق السنة.
- نساء حول النبي (ص)..
- رجال حول الرسول (الحقيقة والأسطورة).
- الإسلام فوق الشيعة وفوق السنة..
- أبناء الرسول في مصر (صفحات من تاريخ الأشراف)